# النفخــة

## على النفحــة والـمنحــة

وتليها:

## نظــرة في النفحــة الزكيــة

## في الــرد على الوهـابيــة

# النفخــة على

# (النفحــة) و(المنحــة)

لمؤلفها

**عبدالقــادر بن بــدران الدمشقي الحنبلي**

ت: ١٣٤٦هـ رَحِمَهُ اللَّهُ

وتليها:

# نظــرة في

# (النفحة الزكية في الرد على الوهابية)

لمؤلفها

**محمــد بهجــة البيطــار**

ت: ١٣٩٦هـ رَحِمَهُ اللَّهُ



اعتنى به

**د. خــالد بن أحمــد الزهــراني**

بسم الله الرحمن الرحيم

# مُقَدِّمَة

الحمد لله الذي أرسل رسوله محمدًا بالحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، وأيده بالكتاب الحقِّ المبين، وأصحابه ذوي الفضل العظيم، وآله الطيبين الطاهرين.

أحمده كما ينبغي لعظيم سلطانه، وأصلي وأسلم على نبيه الرحمة المهداة، وعلى آله الهداة، وأصحابه الميامين، وأزواجه أمهات المؤمنين، وعلى من اتّبع هداهم واقتفى أثرهم إلى يوم الدين.

وأشهد أن لا إله إلا الله، شهادة أرجو بها النجاة يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم. وأشهد أن محمدًا رسوله وخليله وصفيه، شهادة أرجو بها من الله شفاعته يوم القيامة.

**أما بعد:**

فإن المتتبع لما يُكتب عن الأعلام المصلحين الذين بلغت شهرتهم الآفاق، وعَلِمَ حقيقة أمرهم البعض وجهلها آخرون، لَيَعلَمُ أن من أبرز هؤلاء المصلحين المعاصرين الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ وأتباعه الذين ساروا من بعده بدعوته على هدى من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

وقد كَتب عن هذا المصلح كثيرون؛ منهم من أفرد له تأليفًا، ومنهم من أشار، ومنهم من أصاب الحق في بيان دعوته ومنهجه وطريقة أتباعه من أبنائه وأحفاده وغيرهم ممن دعا بدعوته، ومنهم من تعمد الكذب عليهم والإساءة إليهم بكيل التهم والافتراءات، ومن هؤلاء المدعو «عبد القادر الإسكندراني»[1] في رسالته «النفحة الزكية في الردِّ علىٰ شُبَه الفرقة الوهابية»، وهي رسالة مليئة بالأكاذيب والافتراءات والجهالات حول دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ، تناقلها مؤلفها عمن سبقوه من أعداء هذه الدعوة المباركة، لتشويه بياض منهجها وصد العامة عنها، مأتسيًا بغيره من الشيعة الرافضة والقبورية وغلاة التصوف الذين كتبوا ما كتبوا في نشر الباطل تجاه الشيخ المجدد محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ ودعوته للتوحيد ونبذ الشرك والبدع والخرافات.

وقد قام علماء الملة وأساطين التوحيد في هذا الزمان بالرد علىٰ كل من تعرض بالباطل للشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ أو دعوته للتوحيد والسنة، فكتبوا الكتب والرسائل والمقالات في ذلك.

**ومن هنا**، بعد أن كتب «الإسكندراني» رسالته السابقة، تصدىٰ له عالمان دمشقيان بالرد وبيان كذبه وجهله، وتميزت الرسالة الأولىٰ «**النفخة علىٰ النفحة والمنحة**» بمزايا عديدة: منها قوة الرد، وإفحام الخصم، والاحتجاج عليه بكلامه، وسعة اطلاع المؤلف علىٰ المطبوع والمخطوط، كما كان الرد موضوعيًّا بعيدًا عن الحدة وغَلَبَة العاطفة، وتميَّز الرد أيضًا بالتثبت في النقل والدليل في الدعوىٰ «إن كنتَ ناقلًا فالصحة، أومُدَّعِيًا فالدليل».

---

(١) انظر ترجمته في «معجم المؤلفين» (٥/ ٢٩٩).

ونلحظ في الردّ العظة والتذكير للمخالف بلقاء الله تعالىٰ وأن الله مطَّلع علىٰ السرائر، كما يظهر في أثناء الردّ الشفقة والرحمة بالمخالف والدعاء له بالهداية، كما سلك المؤلف مسلك الشدَّة والصرامة في بعض المواطن، واستعمل أسلوب التنزل مع المخالف[1]. وكذلك في رسالة البيطار «نظرة في النفحة» تلحظ اللغة العلمية الرحيمة، وفيها كبير النصح وجميل الشفقة علىٰ العلماء والدعاة، في بيان الحق وعدم مجاراة العوام والعوائد..

## طبعات الرسالة:

كانت الطبعة الأولىٰ عام ١٣٤٠هـ بمطبعة الترقي بدمشق، كما هو مدون علىٰ طُرَّة الرسالة، باسم مستعار للمؤلف، ثم أعاد طباعة «النفخة» العلامة الشيخ عبدالعزيز بن محمد آل عبد اللطيف عام ١٤٢١ هـ مع تعليقات نفيسة عليها، نقلنا بعضها في نشرتنا هذه، وأشرنا لها في الحاشية بحرف «ع» ولم يُضِف معها الرسالة الثانية «نظرة في النفحة» فأضفناها هنا كما هي في أصل الطبعة الأولىٰ.

وذكر الدكتور أحمد الضبيب في كتابه «بواكير الطباعة والمطبوعات في بلاد المملكة العربية السعودية»[2] في قائمة المطبوعات من عام (١٣٠٠ هـ – ١٣٤٣ هـ) أن هذه الرسالة «النفخة» وتوأمتها «نظرة في النفحة» -ونسَبها للمَيداني- قد طُبِعَتا بمكة المكرمة، المطبعة الماجدية (٥٦ ص).

(١) انظر: مقدمة الشيخ عبد العزيز بن محمد آل عبد اللطيف لنشرته للرسالة عام ١٤٢٢ هـ.
(٢) طبعة مركز حمد الجاسر الأولىٰ ١٤٢٨هـ (ص ٣١، ١٠٥).

## مَن مؤلِّفا «النفخة على النفحة والمنحة» و«نظرة في النفحة الزكية في الرد على الوهابية»؟

مرَّ علىٰ كثير من بلاد المسلمين في أوقات مضَت تسلط البدعة وأهلها، بقوة السلطان وضعف العلم والعلماء تجاه هذا الواقع البدعي المتسلط، وفي تصوير مشهد لهذا يقول العلامة الأديب الأريب علي الطنطاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كانت الوهابية تُعَدُّ تهمة خطيرة مخيفة، وكانوا يحذروننا من الاجتماع بهم، فوقفت مرة في حلقة ابن بدران العالم الحنبلي المعروف، وكان هناك طلاب يمرّون في الأسواق، فرأوني في حلقة ابن بدران، وقدّموا فيّ تقريرًا إلىٰ المشايخ، فضُرِبْتُ فَلَقَةً[1] في رجلي[2].

**والطريف هنا** أن هذا العلامة عبد القادر بن بدران (١٢٨٠هـ - ١٣٤٦هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ هو مؤلف هذه الرسالة التي سماها بغير اسمه ونسبها ظاهرًا لغير وسمه، بينا هي من تأليفه وبقلمه رَحِمَهُ ٱللَّهُ فكتَب: (النفخة علىٰ النفحة والمنحة، لمؤلفها الشيخ ناصر الدين الحجازي الأثري)، وكذلك الرسالة التي تليها سماها كاتبها: (نظرة في النفحة الزكية في الرد علىٰ الوهابية، مؤلفها أبو اليسار الدمشقي) وكاتبها هو الشيخ محمد بهجت البيطار (١٣١١ هـ - ١٣٩٦ هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ولهذا السبب -أعني **تهمة الوهابية**- كتب بعض أهل العلم مقالات كثيرة ورسائل علمية وردودًا قوية علىٰ أهل البدع من الشيعة والصوفية والقبورية

---

(١) الفَلَقة: الخَشَبة (تاج العروس ٢٦/ ٣١٥) وعود يتَّصل به حبلان تُمسَك بهما القدمان للجَلْدِ (المعجم الوسيط ٢/ ٧٠١).

(٢) علامة الشام: عبدالقادر بن بدران، للشيخ محمد بن ناصر العجمي (ص٢٢).

وغيرهم، لكن منعهم تسلط الباطل من التصريح باسمهم فيها، وهي مصلحة راجحة رأوها رحمهم الله، وفيها تورية صادقة؛ فابن بدران رَحِمَهُ اللَّهُ هو ناصر للدين برده على أهل البدع، وأثريٌّ نسبة لاتباع الأثر والدليل الصحيح، وأجداده من الحجاز، فلقبه ابن بدران، نسبةً إلى بَدْرَانَ السَّعْدِيّ الجدّ الأكبر للأسرة، وهو حجازيُّ الأصل، من بني سعد. ومحمد البيطار رَحِمَهُ اللَّهُ تيمَّن باليُسر والتيسير، وهو دمشقي الولادة والنشأة.

**فائـــدة:**

ذكر الشيخ عبد الله البسام رَحِمَهُ اللَّهُ وغيره في ترجمة الشيخ محمد بن علي بن تركي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت ١٣٨٠هـ)[١] أنه ألف هذه الرسالة بالاشتراك مع أبي اليسار الدمشقي، الذي هو محمد بهجة البيطار، وقد طُبع هذا الرد أكثر من مرة.

وهذا غير صحيح، وقد تبعه جمع من المؤلفين والمحققين على ذلك.

وقد أفاد البحاثة محمد بن ناصر العجمي - وفقه الله - أن ناصر الدين الحجازي ليس محمدًا التركي، فقال: الاسم المستعار هو ابن بدران، كما رأيت ذلك على نسخة محمد نصيف، وقد كتبه نصيف بنفسه، وكما رأيته في أحد كتب المردود عليه، وكما حدثني الشيخ عبدالقادر الأرناؤوط عن محمد أحمد دهمان عن ابن بدران[٢].

---

(١) انظر ترجمته في: علماء نجد خلال ثمانية قرون (٦/ ٣٣٣-٣٣٩)، وروضة الناظرين (٢/ ٢٧٣ - ٢٧٦).

(٢) نقلًا عن: فتح الجليل في ترجمة ابن عقيل، للمسند المحدث الشيخ زياد التكلة وفقه الله (ص٣٤٠ - ٣٤١).

وكذلك البحاثة الشيخ مشهور حسن سلمان في كتابه «كتب حذر منها العلماء»[١] نسب رسالة «النفخة» للشيخ محمد التركي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فلتصحح.

وكذلك الدكتور الشيخ ناصر بن عبدالكريم العقل في كتابه «إسلامية لا وهابية»[٢] نسب «النفخة» للشيخ التركي، وأشار لكتاب الدكتور عبد العزيز العبد اللطيف «دعاوىٰ المناوئين»، كما نسبها له في تحقيقه للنفخة[٣].

وممن أشار لرسالة البيطار رَحِمَهُ ٱللَّهُ ونسبها له د/ يوسف المرعشلي في كتابه «نثر الجواهر والدرر في علماء القرن الرابع عشر»[٤] لكنه أخطأ في نسبة رسالة «النفخة» له كذلك، فلتصحح.

**وآخرًا**، وقفتُ علىٰ رسالة بعنوان «القول الثبت في الرد علىٰ دعاوىٰ الروتستنت» لمؤلفها عبد القادر الإسكندراني، مؤلف رسالة «النفحة» المردود عليه[٥] والتي نسفها ابن بدران والبيطار رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ في رسالتنا، قال فيها ما نصه[٦]:

«**تنبيه**: ليعلم أن الرسالة التي اسمها الكريم[٧] «النفخة» المنسوبة إلىٰ ناصر الدين الحجازي الأثري للانتصار للفرقة الوهابية، هي من خرافات

---

(١) (١/ ٢٦١).

(٢) (ص ١٣٦) الحاشية رقم (٣).

(٣) ثم رأيت له تصحيحًا في حسابه بتويتر قال فيه: (قال البسام: إنه الشيخ ابن تركي، لكن في الكتاب ملحوظات لا يتصور وقوعه فيها، كتزكية ابن عربي).

(٤) (ص ١٠٩٦).

(٥) كتبها يوم الثلاثاء الموافق لانتهاء شهر المحرم سنة ١٣٤١هـ كما في ذيلها.

(٦) (ص ٤٩).

(٧) هكذا في الأصل.

شيخنا (المحترم) الشيخ عبد القادر بدران الدوماني، المعروفة ترجمة حاله عند الخاص والعام، وإنما أخفىٰ اسمه الحقيقي واستعار ذلك الاسم تمويهًا علىٰ المسلمين؛ حتىٰ لا يكون مشهورًا بوصمة الوهابية، وهيهات يخفىٰ الحق في ظلام الباطل. كذلك رسالة «النظرة علىٰ النفحة» المنسوبة إلىٰ أبي اليسار الميداني، هي لرجل اسمه الحقيقي: الشيخ بهجت البيطار ابن الأستاذ الشيخ بهاء الدين، ولعله أخفىٰ اسمه لتلك العلة، فلو كان كل منهما علىٰ الحق لأظهرا اسمهما وما تستَّرَا..» إلىٰ آخر كلامه الممجوج المحجوج.

## أثر الدعوة السلفية عمومًا، ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب خصوصًا في الشام[1]:

في الشام كان لها أثر جيد، وقد اطلعت علىٰ رسالتين صغيرتين: إحداهما بعنوان «**النفخة علىٰ النفحة**» لمؤلفها الشيخ ناصر الدين الحجازي الأثري، وقد شغلت (٥٦ صفحة) من الوسط، والثانية بعنوان «**نظرة في النفحة الزكية في الرد علىٰ الوهابية**» لمؤلفها أبو اليسار الدمشقي الميداني في (٣٤ صفحة) من الوسط، وكأنها ذيل للأولىٰ وتعليق عليها، طبعتها في مجلد واحد سنة ١٣٤٠هـ بمطبعة الترقي بدمشق.

**والأولىٰ** عبارة عن رد بليغ صدر من عالم محقق يتقي الله ويلتزم في رده الحكمة والموعظة الحسنة والإنصاف في المحاجة، جاء في أولها -بعد البسملة والحمد لله والثناء علىٰ الله والصلاة والسلام علىٰ رسول الله ﷺ-

(١) من كتاب: عقيدة الشيخ محمد بن عبدالوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي، للدكتور صالح بن عبدالله العبود (٢/ ٣٩٥)، وانظر ( علماء نجد خلال ثمانية قرون ) للبسام (٦ / ٣٣٧).

أنه بينما كان سائرًا في إحدىٰ طرق مدينة دمشق، إذ بصُر برجل عليه سِيمَا العلم، وبيده رسائل يوزعها، فأهداه رسالة وهو يرتجف، ويشير إلىٰ أنه أبدع فيما كتب، فذهب ناصر الدين إلىٰ أحد مساجد البلد، ووجد أحد أهل العلم فيه، فلما أبصره والرسالة بيده هز رأسه وقال: ما هذه الرسالة؟ فأجابه بأنه رأىٰ عنوانها، وأن من حاكها أسماها «**النفحة الزكية في الرد علىٰ شبه الفرقة الوهابية**»، ومؤلفها يزعم أنه من أكابر علماء دمشق، يقال له «الشيخ عبد القادر الإسكندراني» المنتحل لنفسه لقب «الكيلاني»، فأجابه ذلك العالم الذي في المسجد بأن مدعي هذه الرسالة إنما أغار علىٰ كتاب «**الفجر الطالع**» لجميل صدقي الزهاوي، وعلىٰ ما لفقه الشيخ دحلان، فأخذ ما اختاره منهما، ولم يزد من عنده إلا أحرفًا يسيرة! فدهش وأخذ الرسالة يتصفحها، ثم رآها علىٰ غير قاعدة المحققين، وإنما هي تلفيقات، فانتدب لنقضها بأسلوب العالم المتزن ومسلك المحقق الذي بينه كمنهج لرده، **ويمكن تلخيصه بنقاط هي**:

١) أن المحققين ينزهون أنفسهم عن السباب والشتم لمن يردون عليه.

٢) يجعلون نصب أعينهم قوله تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴾ [الحجرات: ٦].

٣) وأن من يرد علىٰ أحد في كلامه يأخذ جملة من كلامه، فيبين الغلط فيها، ثم جملة، وجملة، حتىٰ يستوفي الكلام، بلا تحامل ولا اعتساف.

٤) وأن يتلو قوله تعالىٰ: ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴾ [الزمر: ٣١].

ولكن صاحب الرسالة -كما قال ناصر الدين- لم يسلك في رده ذلك المسلك، فأراد ناصر الدين خدمة الحقيقة فقال: «إن صاحب النفحة صدَّر

رسالته بما لفَّقه الشيخ أحمد دحلان في آخر «**تاريخ أمراء البيت الحرام**»[(١)]، وسلك موطئ قدمه حذو النعل بالنعل بلا تأمل ولا تدبر، ولا شك أن الله تعالىٰ يجمع الكل يوم القيامة، ثم ينبئهم بما كانوا يعملون.

قال ناصر الدين: «وقبيح بمؤلف يملأ كتابه بالافتراء والتعدي، وفي قصة الإفك أعظم رادع لمن كان يؤمن بالله ورسوله ويطلب النجاة لنفسه فيحاسبها خاليًا ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١]، ومهما تملق المتملقون واستتر المراؤون فإن الله لا تخفىٰ عليه خافية، ولابد أن يَشِفَّ الباطل عن الحق فيظهر ناصعًا واضحًا، وإليك جملًا من كلام صاحب الرسالة تدل علىٰ افترائه بما ادَّعَاه».

إلىٰ أن قال: «ومن طَبْعِه الوقوع في أعراض الناس، يرىٰ لذلك لذَّة، ولا يحلو في ذوقه إلا الغيبة والنميمة واتباع الهوىٰ».

ثم نقل عنه قوله عن محمد بن سعود أمير الدرعية بلاد مسيلمة؛ فقال ناصر الدين له: «هب أننا سلمنا أنها بلاد مسيلمة؛ فما الذي تراه من ذمها؟! أليست مصر كانت بلاد فرعون وهامان وقارون؟! وما الإسكندرية إلا من بعض بلاد مصر! أليست بابل كانت بلاد نمرود؟! أليست مكة كانت موطن أبي جهل وأبي لهب وأضرابهما؟! أليست فلسطين كانت بلاد قوم لوط؟! هل ضر هذه البلاد شيءٌ من ذلك أم هل تناقص قدرها؟! ألم تعلم أن أول من أسس هذا القياس من أخبر الله عنه أنه قال: ﴿أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ﴾ [الأعراف: ١٢]؟! وما إِخالُكَ - يا رعاك الله - إلا أنك بعد هذا تتبع الحق وتحسن النظر في القضية».

---

(١) انظر: خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام (٣٠٥ - ٣٤٧).

وقال ناصر الدين عن صاحب الرسالة: إنه قال عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب: «وممن أخذ عنهم الشيخُ محمد حياة السندي والشيخ محمد بن سليمان الكردي، وكانا يتفرسان فيه الإلحاد، ويحذران الناس دسائسه».

فقال ناصر الدين: «أقول: لو أنصف لعلم أنه يطعن في هذين العالمين، وذلك أن كلًّا منهما أجاز ابنَ عبد الوهاب بإجازة مطولة، وأجاز له أيضًا الشيخ عبد الله بن إبراهيم نزيل المدينة والمشهور بها؛ كما ذكره صاحب كتاب «**التوضيح عن توحيد الخلَّاق**»[1]، وأخذ أيضًا عن الشيخ إسماعيل العجلوني محدث الديار الشامية، والشيخ علي أفندي الداغستاني، وكلهم أجاز له؛ فكيف يتفرسان فيه الإلحاد ويجيزانه ويمدحانه في إجازتهما؟! وهل هذا إلا مكابرة؟! إلىٰ غير ذلك مما افتراه من غير دليل ولا ثبت، سوىٰ سوء الظن بذلك الرجل؛ فالله يلهمنا رشدنا ويهدينا سواء السبيل».

وقال ناصر الدين: «ادعىٰ ذلك الكاتب أنه يتعجب من شرذمة تروج في دمشق العقيدة الفاسدة والآراء المضللة...» إلخ.

فقال ناصر الدين: «يا لله العجب! هل مَن يدعو إلىٰ الله ورسوله ﷺ وإلىٰ عقيدة السلف يعد ضالًّا مضلًّا، والذي يدعو إلىٰ الترهات يعد صالحًا؟! علىٰ رِسلِك! تمهل! وانظر ما كان عليه السلف الصالح والأئمة المجتهدون من الاعتقاد، وتأمل مقالات أبي الحسن الأشعري في «**الإبانة**» وعقيدة الإمام الطحاوي، وما قاله الإمام البيهقي في كتاب «**الأسماء والصفات**»، وما قاله الإمام الذهبي وغيرهم من أساطين العلماء في التوحيد، ثم ارجع إلىٰ نفسك وقل ما شئت، وتأمل أيضًا ما قاله علماء المذاهب الأربعة الموثوق بهم فيما الناس عليه من البدع ثم احكم بما شئت، ألم يأتك والأنباء تنمي ما قاله

(١) (ص ٢٥).

الإمام الشاطبي وابن الحاج في «**المدخل**» وأبوشامة في كتابه «**الباعث**» وابن وضاح وغيرهم من الأئمة؟! فإن كنت تعد أمثال هؤلاء وهابية فيا برد الذي قالت علىٰ كبدي!».

وهكذا يمضي حتىٰ أجهز علىٰ نفحته التي ليست بزكية بنفخة أطارتها.

**وكذلك الرسالة الثانية** التي عنوانها: «نظرة في رسالة النفحة الزكية في الرد علىٰ شبه الفرقة الوهابية»، ومؤلفها أبو اليسار الدمشقي الميداني، قال:

«إن صاحب هذه النفحة تناول في ذمه النجديين والشاميين، وآذىٰ في سبه وشتمه الأحياء والأموات، وجعل في طليعة نفحته ترجمة للشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ ما أظن أن أحدًا ممن رُزق حظًّا من التحقيق والمعرفة بحال المترجم وجانبًا من الإنصاف يرضىٰ عنها؛ لا سيما إذا خاف مقام ربه ونهىٰ النفس عن الهوىٰ».

وقال: «لا أحب أن أخوض معه فيما كتبه عن الوهابيين، ومَن يتهمه بالانتساب إليهم من الدمشقيين؛ فإن السب لا يعمد إليه إلا عاجز أو صاحب هوىٰ».

ثم نقل عنه قوله: «فوا خجلتاه! كيف يروق للشرذمة المنتسبة إليهم الموجودة في دمشق المتصفة بالتمدن والحضارة أن تكون تابعة لسكان البوادي، وتفتتن بعقائدهم البديهية البطلان مع أن فيهم من ينتسب إلىٰ العلم ويدَّعِي الفهم؟!».

إلىٰ أن قال: «كيف افتتنوا بتلك الترهات، وانخدعوا بالمموّهات، ونهضوا يروجون تلك العقائد الزائفة والأضاليل الباطلة، ويَبُثُّون في أفكار العوام هذا المذهب الذي أطبقت عقلاء الأمة علىٰ فساده؟!» اهـ.

قال أبو اليسار: «أقول: هذه جمل من عباراته العالية وآدابه السامية في وصف إخوانه الدمشقيين - دع النجديين وما وصفهم به - عرضناها علىٰ القارئ الكريم؛ ليعرف بها مبلغه من الأدب، ودرجته من الحرص علىٰ جمع الكلمة والتأليف بين المسلمين في هذا اليوم الأَيْوَم. وقد نقل لنا غير واحد عن هذا الرجل أنه صار في درسه يذم بعض علماء دمشق وغيرهم من أموات وأحياء، ويصرح بأسمائهم وأسماء بعض محلاتهم وأحيائهم، ويُنَفِّر ممن أخذ العلم عنهم أو سمع شيئًا منهم».

إلىٰ أن قال: «ثم ليت شعري! كيف يتهم الفئة الدمشقية بالانتساب إلىٰ الشيخ محمد بن عبد الوهاب وجماعته، ثم يقول بعد: وقد سألت رجلًا منهم - يعني الدمشقيين - عن مذهبه يومًا: أشافعي أو حنفي؟ فأجابني بأنه أثري، يعني لا ينتسب إلىٰ أحد من المجتهدين رضي الله عنهم؟!» اهـ.

فإذا كنت تفسر قوله بأنه أثري بعدم الانتساب إلىٰ أحد من الأئمة المجتهدين أنفسهم -***رحمهم الله تعالى ورضي عنهم***- فكيف تنسبه إلىٰ رجل من أتباع أحمد بن حنبل، وهو محمد بن عبد الوهاب رحمه الله؟! وكيف يمكنك أن تطابق بين الدعوىٰ والدليل؟!

ثم كيف جاز لك أن تملأ رسالتك من دعوىٰ أن الوهابيين قاطبة يكفروننا ويزعمون أنَّا مشركون، وها نحن أولًا نراهم في مساجدنا يصلون خلف أئمتنا مقتدين بهم، ولا تكاد تدخل مسجدًا من المساجد وقت الصلاة إلا وتجد بعضهم يؤدي الصلاة فيه مؤتمًّا بإمامه! فإذا كانوا يرموننا بالشرك كما زعمت فكيف يقتدون بنا ويصلون معنا؟!

وهَبْ أنه كان التطرف والرمي بالشرك والكفر من بعض جهالهم وغُلَاتهم؛ فهل يصح أن يؤخذ الكل بذنب البعض؟! ألم يقل تعالىٰ: ﴿وَلَا تَزِرُ

وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ [فاطر: ١٨]؟! وهل يمكنك أن تبرئ جهالنا وغلاتنا من مثل هذا التطرف؟! ولِم لا تنصح لعوامنا وتندد بهم وتزجرهم عن تكفير غيرهم كما فعلت بأولئك؟!

ثم ما معنىٰ قوله: «**كيف يروق للشرذمة المنتسبة إليهم الموجودة في دمشق المتصفة بالتمدن والحضارة أن تكون تابعة لسكان البوادي؟!**»؟

أي مدخل للتمدن والحضارة فيما نحن فيه؟! أليس الكلام في التوحيد وما دخله من البدع؟! أليست العقائد والعبادات من الدين الذي أكمله الله تعالىٰ علىٰ يد رسوله ﷺ؟! أليس مبنىٰ الدين علىٰ الاتباع المحض؟! هل يجوز فيه التغيير والتبديل والزيادة والنقصان؟! ما معنىٰ التمدن والحضارة في هذا المقام؟!

ثم أي تمدن وحضارة تعني؟!

إن كنت تعني مدنيتنا وحضارتنا في هذا الزمان، فالجواب أنّا لا نرىٰ أثرًا لهذه المدنية بيننا، لا في اختراع، ولا في صناعة، ولا زراعة، ولا تجارة!

وإن كنت تريد مدنية أسلافنا، فلا يحق لنا أن نفتخر بها ونحن قد أضعناها.

ولقد تذكرت أن أحد الأوروبيين كان يذكر لأحد أفاضل المسلمين ما انتهت إليه أوروبا من البسطة في العلم، والسعة في الملك، والاختراع في الفن، ويباهي بذلك، فقال له المسلم: لنا الفخر؛ لأن هذا الرقي قد أخذتموه عن أساتذتكم العرب، وهم آباؤنا. فأجابه الأوروبي: لا حق لكم بهذا الفخر، ونحن أحق به منكم؛ لأنا أخذنا علوم سلفكم ونشرناها، فكنا بعلمهم عاملين، أما أنتم فقد أضعتموها، وكنتم لها عاقِّين».

قال أبو اليسار: «وإن كنت ترىٰ المدنية في الافتتان باللباس، والتفنن بالطعام والشراب، والاستكثار من الوظائف والمرتبات من أجل ذلك،

فهذا أقبح ما سرىٰ إلىٰ صنف العلماء من الأمور الذميمة، وصدهم عن تخريج الطلاب في العلوم والأدب، وتصنيف الكتب، وإحياء العلوم».

إلىٰ أن قال: «وإن عند كثير من علمائنا الأغنياء من العلم والمال ما يستطيعون أن يخدموا به كثيرًا من الطلاب، فلو كانت هممهم متوجهة لإحياء العلوم الشرعية والعربية لقاموا بهذه الوظيفة المقدسة حق القيام، وإذًا لازدهرت هاتِيك العلوم في هذه الديار أيما ازدهار، وإنك لتجد بعض الشبان والكهول من المشتغلين المجدِّين، الذين قضوا شطرًا كبيرًا من حياتهم في الجمع بين المعقول والمنقول والتدقيق في الفروع والأصول، يفتشون عن وظيفة علمية تسند إليهم؛ لينفعوا بعلمهم، ويستزيدوا منه، ويتمرنوا علىٰ العمل، وليستعينوا بالمرتب علىٰ أمر معيشتهم، فلا يجدون إلىٰ ذلك سبيلًا، ولا من أحد من أهل العلم مساعدة، ولو بالتخلي عن وظيفة ومرتب زائدَين عن حاجتهم، فيضطرون هناك إلىٰ الاشتغال بما يقيهم ذل السؤال! والأمر لله! وقد كان الواجب يتقاضىٰ ممن يزعم الغيرة علىٰ الدين وأهله، ويدعي أنه من حماته ودعاته، أن يساعدهم بكل ما يمكن؛ رحمة بهم وبمئات الطلاب التي كان يمكن أن تُحصِّل عندهم وتخرج علىٰ أيديهم. من ذا الذي يخدم الدين للدين والعلم للعلم خدمة خالصة من كل شائبة، لا يتقاضىٰ عليها أجرًا، وليس له في مقابلها شيء! ألا ليت أصحاب الوظائف الموكول إليهم أمرها يقومون بها، ويوفونها حقها؛ كيلا يأكلوا أجورهم من دون عمل، وهي لم توقَف أو تخصَّص إلا لمن عمل».

ثم يقارن أبو اليسار بين الفريقين فيقول:

«حالنا وحال النجديين: إذا أردنا أن نقابل بيننا -معشر أهل التمدن والحضارة- وبين سكان البوادي النجديين، الذين تزعم وتوازن بين سخائنا علىٰ نشر العلم وسخائهم، وغيرتنا علىٰ الدين وغيرتهم، وكانت حالنا ما قدمنا، ورأينا كثيرًا من كتب العلم الديني قد طبعها تجارهم، وجعلوها وقفًا لله

تعالىٰ، ووزعوا الألوف منها علىٰ المسلمين في عامة الأقطار، سواء في ذلك أهل البوادي وسكان المدن والأمصار، ولا يزالون دائبين علىٰ طبع الكتب النفيسة، حريصين علىٰ نشرها مجانًا، يخرجون بها الناس من ظلمات الجهل إلىٰ نور العلم والمعرفة، ولم تكن تلك الكتب من تأليف أهل نجد فحسب، بل معها كتب أئمتنا وأجلائنا الدمشقيين وغيرهم؛ كابن تيمية وابن القيم وابن قدامة، وهم يطبعونها ويوزعونها علىٰ المسلمين، لا يريدون منهم جزاءً ولا شكورًا؛ فأي المدنيتين قد عَمَّ خيرها وظهر أثرها وحق أن يفخر بها أهلها: المدنية التي أفسدت علينا ديننا ومروءتنا، وسلبتنا جل أوصافنا الحميدة، وأكسبتنا أخلاقًا ذميمة، كالبخل والكذب والكبر والبذخ والرياء وتقديم المصلحة الخاصة علىٰ المصلحة العامة، أم تلك المدنية الفطرية التي لم تشبها شائبة الفساد! بربك أنصف ثم احكم».

وهكذا حتىٰ انتهىٰ منها، فوقع الحق وبطل ما كانوا يأفكون.

وقد نقلت ما نقلت من هاتين الرسالتين لأُبَيّن كيف يعاني أصحاب العقيدة السليمة، عقيدة السلف الصالح، وكيف يعاني من تأثر بالحق والتزمه، حيث لا سلطان له، وكيف يتكلمون بالحق وليس معهم سيف، ولكن الله يؤيدهم بلطفه، وييسر لهم من ينصرهم كما نصر الذين من قبلهم، ويستخلفهم كما استخلف الذين من قبلهم.

وقد كتب الإمام الملك عبد العزيز - كما ذكرنا في الفصل الرابع - لهما كتابًا يحمد الله فيه إليهما علىٰ ما مَنَّ به عليهما من معرفة الحق والبصيرة فيه، ومعه هدية هي مجموعة «**الهدية السنية**» التي جمعها الشيخ سليمان بن سحمان، ويوصيهما بلزوم الحق والاستمرار والصبر عليه، ويؤيدهما، ويدعو لهما، ويشكرهما علىٰ ذلك، وتقدم إيرادنا نص رسالته[1].

---

(١) انظر (٢/ ٣١٢) من كتاب (عقيدة الشيخ محمد بن عبدالوهاب السلفية).

وفي مقدمة هذه المجموعةِ التي كتبها الشيخ سليمان بن سحمان، يقول بعد البسملة والثناء علىٰ الله والصلاة والسلام علىٰ رسول الله ﷺ:

«أما بعد؛ فقد وقفت علىٰ ما كتبه العالمان الجليلان التقيان المنصفان: الشيخ ناصر الدين الحجازي الأثري نزيل دمشق، والشيخ أبو اليسار الدمشقي الميداني، علىٰ ما افتراه... الإسكندراني مما لفقه من الأكاذيب الشنيعة والمفتريات الواهية الوضيعة، أو تلقاه عن جميل أفندي البغدادي[1] وقد اعتمد هذا وغيره في كل ما افتروه علىٰ ما لفقه إمام ضلالتهم أو بدعتهم أحمد بن زيني دحلان[2] من الخرافات والخزعبلات التي لا تصغي إليها إلا القلوب المقفلات، ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ ۖ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ﴾ [فاطر: ٨]، ويقول تعالىٰ: ﴿وَلِتَصۡغَىٰٓ إِلَيۡهِ أَفۡـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ وَلِيَرۡضَوۡهُ وَلِيَقۡتَرِفُواْ مَا هُم مُّقۡتَرِفُونَ﴾ [الأنعام: ١١٣].

فلما تَصدَّر وانتصب هذا الرجل لعداوة أهل الإسلام أتباع الملة الحنيفية والطريقة المحمدية، وشَرِقَ بهذا الدين الذي مَنَّ الله به علىٰ إخواننا الدمشقيين، لما تبين لهم حقيقة ما عليه أهل الإسلام الموحدين من أهل نجد المشهورين بالوهابية، وأنهم كانوا علىٰ ما كان عليه سلف هذه الأمة وأئمتها، من إخلاص العبادة لله رب العالمين، وترك عبادة ما سواه مما كان عليه أهل

(١) قال محمد رشيد رضا معلِّقًا: «هو جميل الزهاوي المتفلسف الذي طعن في الشريعة بأشد مما طعن في المستمسكين بعروتها من أهل نجد، وقد نشر طعنه وإنكاره لتعدد الزوجات وقسمة الميراث في الإسلام في جريدة المؤيد المصرية، فكفره بها العلماء الكثيرون».

(٢) قال محمد رشيد معلِّقًا: «هو الذي كان مفتيًا في مكة في زمن ظهور الدعوة، وكتب ما كلفه كتابته سادته ومُوَظِّفُوه من الأمراء والحكام من غير تبيّن ولا تثبّت فيما جاء به أولئك الفساق الطغام».

الكفر والشرك برب العالمين، وإنكار البدع المحدثة في الدين، وكتب ردًّا علىٰ الوهابية المستمسكين بالطريقة المحمدية والملة الحنيفية، ورماهم بما هم بريئون منه من هذه الأكاذيب والأوضاع التي تمجها الطباع، وتستكُّ عند سماعها الأسماع، وبئسما انتحله من الأكاذيب والأوضاع الوبيَّة، وقد تبع فيها أقوال قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرًا وضلوا عن سواء السبيل - رد عليه هذان العالمان الجليلان، وغارَا لله وللمسلمين من تلفيق أهل الكذب والبهتان، فأزالا بما كتباه من الرد عن القلوب صداها، وأماطا به عن العيون قذاها، فجزاهما الله عن الإسلام والمسلمين أفضل الجزاء، فلما قرأناها وتأملناها علمنا وتحققنا أن في الزوايا خبايا، وأنه قد بقي من فحول الرجال بقايا، فلله الحمد، وله الشكر والمِنَّة.

ثم اعلموا - أيها الأَخَوَان - أنا علىٰ ما كان عليه أئمتنا أهل الإسلام والعلماء الأئمة الأعلام، الذين ينفون عن كتاب الله وسنة رسوله تحريف الغالين، وتأويل الجاهلين، وانتحال المبطلين؛ كشيخ الإسلام وعلم الهداة الأعلام تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني، وتلميذه شمس الدين محمد بن أبي بكر (ابن قيم الجوزية) والحافظ الذهبي الشافعي، والعماد ابن كثير الشافعي، ومحمد بن جرير الطبري، والحافظ الإمام عبد الرحمن بن رجب الحنبلي[1] وغيرهم من علماء أهل الإسلام الذين هم القدوة وبهم الأسوة، وقد كان لهم قدم صدق في العالمين، فجزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خيرًا.

---

(١) قال محمد رشيد رضا معلِّقًا: «إنما خص هؤلاء بالذكر لما في كتبهم المتداولة من النصوص الواضحة».

وقد سلك شيخ الإسلام وعلم الهداة الأعلام الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ على طريقهم، وسار على منهاجهم وأثرهم في الدعوة إلى الله وإقامة حججه وبيناته، وساعده على ذلك أئمة أهل الإسلام من آل سعود رحمهم الله، فنصروه وآوَوه، وجاهدوا في الله حق جهاده حتى ظهر دين الله، وانتشر في البلاد والعباد؛ فله الحمد، وله الشكر.

ثم إنَّا لما تحققنا ما أنتما عليه من الحق والتحقيق وسلوك طريقة أهل الهداية والتوفيق، أحببنا أن نهدي إليكما ونخبركما بما كنا عليه من المعتقد، وما ندين الله به، وما كان عليه أئمتنا من مشايخ أهل الإسلام، وما قالوه، وما قلناه في ذلك نظمًا ونثرًا، والله المسئول المرجو الإجابة أن يسلك بنا وبكما وإخواننا الموحدين طريق الإصابة، وأن يجزل لنا ولكما الأجر والإثابة، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وإليكما وإلى جميع إخواننا المسلمين ما نهديه ونرفعه، ليعلم حقيقة ما كنا عليه بعد علمِ اليقين عينَ اليقين»[1] انتهى.

فما من شك ولا ريب أن هذا النشر والبيان لعقيدة الشيخ وأنصاره له أثر كبير في نشر عقيدة السلف الصالح في الشام، وتمكين الله أنصارها في الأرض، ونصرهم لما نصروا دين الله ورسوله ﷺ.

ونجد من علماء الشام الشيخ محمد بهجة البيطار، الذي عينه الملك عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ مديرًا لدار التوحيد بالطائف أول ما أنشئت، ومن مؤلفاته كتاب «**حياة شيخ الإسلام ابن تيمية؛ محاضرات ومقالات ودراسات**»

---

(١) «الهدية السنية والتحفة النجدية لجميع إخواننا الموحدين من أهل الملة الحنيفية والطريقة المحمدية» جمع الشيخ سليمان بن سحمان (ص٦-٨).

ونشره المكتب الإسلامي بدمشق عام ١٣٨٠هـ، ويردُّ في هذا الكتاب علىٰ ألفريد غيوم في كتابه «**الإسلام**» ترجمة محمد مصطفىٰ هدارة والدكتور شوقي اليماني السكري، الطبعة الأولىٰ سنة ١٩٥٨م بالقاهرة.

ومن ردِّه عليه ردُّه ما جاء في (ص١٠٠) من كتابه، وهو قوله: «في المملكة الوهابية؛ حيث يسود المذهب الوهابي».

قال محمد بهجة البيطار: «الجواب: ليس للوهابية ولا للإمام محمد بن عبد الوهاب مذهب خاص، ولكنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان مجددًا لدعوة الإسلام، ومتبعًا لمذهب أحمد بن محمد بن حنبل»[1].

## رسالة الإمام الملك عبد العزيز بن عبدالرحمن الفيصل وهديته للمؤلفين[2]:

كتب الملك عبدالعزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلىٰ الشيخ أبي اليسار الدمشقي وناصر الدين الحجازي نزيل دمشق؛ كتب إليهما في الشام كتابًا يعتبر منشورًا إعلاميًّا وبيانًا لما عليه الملك عبد العزيز من عقيدة السلف الصالح، ونورد نصه لأنه وثيقة لا يقدر أحد أن ينكرها:

---

(١) «حياة شيخ الإسلام ابن تيمية» بقلم محمد بهجة البيطار (ص٢٠٠).

(٢) من كتاب: عقيدة الشيخ محمد بن عبدالوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي، للدكتور صالح بن عبدالله العبود (٢/ ٣٩٥)، وانظر (علماء نجد خلال ثمانية قرون) للبسام (٦ / ٣٣٧).

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

من عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل، إلىٰ جناب الأَخَوَين المكرَمَين، الشيخ الفاضل أبو اليسار الدمشقي، وناصر الدين الحجازي سلمهما الله تعالىٰ.

**سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.**

أما بعد؛ فإني أحمد إليكما الله الذي لا إله إلا هوعلىٰ نعمه التي من أجلِّها نعمة الإسلام، ونشكره سبحانه إذ جعلنا من أهلها وأنصارها والذَّابِّين عنها، ونسأله أن يصلي علىٰ عبده ورسوله وحبيبه وخِيرته من خلقه محمد وآله وصحبه وحزبه وغير ذلك.

ورد علينا ردكم علىٰ عبد القادر الإسكندراني، فرأيناه ردًّا سديدًا وجوابًا صائبًا مفيدًا وافيًا بالمقصود، فحمدنا الله علىٰ ما مَنَّ به عليكم من معرفة الحق والبصيرة فيه، وعرضناه علىٰ مشايخ المسلمين فاستحسنوه وأجازوه.

فالحمد لله الذي جعل لأهل الحق بقية وعصابة تذب عن دين المرسلين، وتحمي حماه عن زيغ الزائغين وشبه المارقين والملحدين، فلربنا الحمد لا نحصي ثناء عليه، بل هو كما أثنىٰ علىٰ نفسه، وفوق ما يثني به عليه خلقه.

وهذه منَّة عظيمة ومنحة جليلة جسيمة؛ حيث جعلكم الله في هذه الأزمان التي غلب علىٰ أكثر أهلها الجهل والهوىٰ والإعراض عن النور والهدَىٰ، واستحسنوا عبادة الأصنام والأوثان، وصرفوا لها خالص حق الملك الديان، ورأوا أن ذلك قربة ودينٌ يدينون به، ولم يوجد من أزمان متطاولة مَنْ ينهىٰ عن ذلك أو يغيره، فعند ذلك اشتدت غربة الإسلام، واستحكم الشر والبلاء،

وطمست أعلام الهدىٰ، وصار من ينكر ذلك ويحذر عنه خارجيًّا قد أتىٰ بمذهب لا يُعرَف؛ لأنهم لا يعرفون إلا ما ألفته طباعهم، وسكنت إليه قلوبهم، وما وجدوا عليه أسلافهم وآباءهم من الكفر والشرك والبدع والمنكرات الفظيعة؛ فالعالم بالحق والعارف له والمنكر للباطل والمغير له يعد بينهم وحيدًا غريبًا.

فاغتنموا - رحمكم الله - الدعوة إلىٰ الله وإلىٰ دينه وشرعه، ودحض حجج من خالف ما جاءت به رسله ونزلت به كتبه من البينات والهدىٰ، وأن تكون الدعوة إلىٰ الله بالحكمة والموعظة الحسنة بالحجة والبيان، حتىٰ يمن الله عليكم بمن يساعدكم علىٰ هذا؛ فإن القيام في ذلك من أوجب الواجبات وأهم المهمات وأفضل الأعمال الصالحات، لا سيما في هذا الزمان الذي قل خيره وكثر شره.

قال ﷺ: «**مَنْ دَعَا إِلَىٰ هُدًىٰ كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا**»(١).

وقال لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: «**فَوَاللهِ، لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ**»(٢).

ونحن -إن شاء الله- من أنصاركم وأعوانكم. ومن حسن توفيق الله لكم أن أقامكم في آخر هذا الزمان دعاةً إلىٰ الحق وحجة علىٰ الخلق، فاشكروه علىٰ ذلك.

---

(١) أخرجه مسلم (رقم ٢٦٧٤).

(٢) أخرجه البخاري (رقم ٢٩٤٢) ومسلم (رقم ٢٤٠٦).

واعلموا أن من أقامه الله هذا المقام لابد أن يتسلط عليه الأعداء بالأذىٰ والامتحان؛ فَلْيَقْتَدِ بمن سلف من الأنبياء المرسلين ومَن علىٰ طريقهم من الأئمة المهديين، ولا يثنيه ذلك عن الدعوة إلىٰ الله؛ فإن الحق منصور وممتحَن، والعاقبة للمتقين في كل زمان ومكان.

وهذه هدية نهديها إليكم من كلام علماء المسلمين، وبيان ما نحن ومشايخنا عليه من الطريقة المحمدية والعقيدة السلفية؛ ليتبين لكم حقيقة ما نحن عليه وما ندعو إليه نحن وسلفنا الماضون، نسأل الله لنا ولكم التوفيق والهداية لأقوم منهج وطريق، والسلام»[1].

والهدية السنية التي أشار إليها الملك عبد العزيز وقال: إنها تبين حقيقة ما نحن عليه، وما ندعو إليه نحن وسلفنا الماضون، هي «**مجموعة رسائل خمس لكبار أئمة نجد وعلمائها**»، جمع وترتيب الشيخ سليمان بن سحمان، طبعت بأمر ملك الحجاز وسلطان نجد عبد العزيز آل سعود، وقف علىٰ طبعها وعلق عليها بعض الفوائد والإيضاحات محمد رشيد رضا، الطبعة الثانية، في سنة ١٣٤٤هـ بمطبعة المنار بمصر.

وكتب
**خالد بن أحمد الزهراني**
٠٠٩٦٦٥٠٥٨٤٨٩٨٨

(١) «الدرر السنية» (١/ ٣٠٣-٣٠٥).

# ترجمة المؤلِّفيْن

رحمهما الله تعالى

## علامة الشّام عبد القادر بن بدران

(١٢٨٠هـ / ١٨٦٤م - ١٣٤٦هـ / ١٩٢٨م)

هو الإمام العلامة المحقق، أحد أعيان علماء المسلمين في القرن الرابع عشر الهجري، الشيخ عبد القادر بن أحمد، الملقب بـ«ابن بدران» نسبة إلىٰ بدران السعدي الجد الأكبر للأسرة، وهو حجازي الأصل من بني سعد.

ولد ابن بدران في أسرة صالحة تقية سنة ١٢٨٠هـ - وقيل: ١٢٦٥هـ - وذلك ببلدة دوما، التي تقع بريف دمشق.

### طلبه للعلم ومشايخه:

**مرت مسيرة ابن بدران في طلب العلم عبر ثلاث مراحل:**

**المرحلة الأولىٰ**: ببلدته دوما، حيث ألحق في صغره بكتاب الشيخ عدنان بن محمد عدس في جامع المسيد، حيث تعلم مبادئ القراءة والكتابة.

**المرحلة الثانية**: ببلدته دوما كذلك، عند بلوغه سن الرشد، حيث انتقل إلىٰ الجامع الكبير، وتلقىٰ العلم فيه علىٰ يد جده الشيخ مصطفىٰ بدران،

الذي كان ضريرا، ثم علىٰ يد شيخه الشيخ محمد بن عثمان الحنبلي المشهور بـ«خطيب دوما» (ت ١٣٠٨هـ) فقرأ عليه كتاب «مختصر الإفادات» للعلامة البلباني الحنبلي، وتأثر بأسلوبه وطريقته.

**المرحلة الثالثة**: مرحلة الرحلة في طلب العلم، حيث انتقل إلىٰ دمشق، حاطا رحاله بدار الحديث الأشرفية التي كان يقيم فيها محدث الشام العلامة محمد بدر الدين الحسني رَحِمَهُ ٱللَّهُ فاتصل به وأخذ عنه، ومدحه وأثنىٰ عليه، وتلقىٰ في هذه الدار كذلك عن شيخ الشام ورئيس علمائها الشيخ المحدث سليم بن ياسين العطار الشافعي، وقد أجازه بالحديث إجازة عامة، وذلك في رمضان سنة ١٣٠٦ هـ. كما درس علوم اللغة العربية علىٰ يد الشيخ طاهر الجزائري أحد كبار علماء الشام ومصلحيها.

**ومن شيوخه** العلامة محمد بن مصطفىٰ الطنطاوي الأزهري، نزيل دمشق، فتلقىٰ علىٰ يديه علوم الهيئة والحساب والميقات، كما تتلمذ علىٰ الشيخ علاء الدين عابدين الحنفي، وكذا عن مفتي الحنابلة الشيخ أحمد بن حسن الشطي، والشيخ محمد بن ياسين العطار، والشيخ عمر العطار.

ويذكر من شيوخه شيخ الأزهر محمد بن محمد الأنبابي (ت ١٣١٣هـ)، فإما أن يكون ابن بدران قد رحل إليه في مصر، أو أنه التقاه في دمشق؛ إذ إن شيوخ الأزهر كانوا يترددون إلىٰ دمشق، لكن مما يقوي احتمال أخذه عنه في مصر أن ابن بدران ذكر في كتابه «المدخل» أنه اطلع علىٰ بعض كتب الحنابلة في خزانة الكتب الخديوية بمصر[1].

---

(١) المدخل (ص ٤٣٣).

ويبدو أن تلقيه العلوم الشرعية عن العلماء لم يدم طويلًا؛ لأنه كان قد تلقىٰ نصيحة عن شيخه خطيب دوما تحض علىٰ الاجتهاد في القراءة وإرادة الفهم.

يقول ابن بدران: ولما أخذت نصيحته مأخذ القبول، لم أحتج في القراءة علىٰ الأساتذة العلوم والفنون إلىٰ أكثر من ست سنين[١].

بعد هذه السنين الست أكب ابن بدران علىٰ الكتب ينهل من معينها في كل الفنون والعلوم، بيد أنه أولىٰ عناية خاصة لعلم أصول الفقه الذي لم يكن محل إقبال من طلاب العلم، بل كان بعض العلماء يزهد فيه؛ إذ يرىٰ فيه فتحا لباب الاجتهاد المسدود في نظرهم.

يقول: حتىٰ كنت أسمع من كثير ممن يدعي العلم يقول: ما ضر الأمة إلا فن الأصول؛ لأنه يعلم الناظر فيه الأخذ بالدليل. فكنت لا أعبأ بالواشي، ولا أميل إلىٰ اللاحي، مهما كانت رتبته، فشرعت بقراءة «شرح الورقات» و«شرح شرحها» للعبادي، و«حصول المأمول من فن الأصول» ثم بـ«شرح جمع الجوامع» للمحلي، مع مطالعة حواشيه، و«شرحه للعراقي» وبـ«شرح المنهاج» للبيضاوي، وبـ«شرح العضد علىٰ مختصر ابن الحاجب» وبمطالعة شرحه، وبـ«التوضيح شرح التنقيح» وحاشيته «التلويح» وبـ«شرح المرآة» مع مطالعة حواشيها، هذا مع ما كنت أشتغل به من الفنون التي هي مواد هذا الفن، ولا يخفىٰ مكانها ومواد الكتاب والسنة[٢].

(١) المدخل (ص ٤٨٨).
(٢) نزهة الخاطر العاطر شرح روضة الناظر (٢/ ٤٧٣).

## صفاته وثناء العلماء عليه:

**قال العلامة خير الدين الزركلي:**

فقيه أصولي حنبلي، عارف بالأدب والتاريخ... حسن المحاضرة، كاره للمظاهر، قانع بالكفاف، لا يعنىٰ بملبس أو بمأكل، يصبغ لحيته بالحناء... ضعف بصره قبل الكهولة، وفلج في أعوامه الأخيرة، ولي إفتاء الحنابلة[١].

وقال العلامة الشيخ عبد الله بن خلف بن دحيان الحنبلي رَحِمَهُ اللَّهُ:

العلامة الشيخ عبد القادر بن أحمد بدران، مدرس الجامع الأموي، وشيخ الحنابلة في البلاد السورية، ومحدث الشام، وأحد أعضاء الرئاسة العلمية بدمشق[٢].

## عقيدته:

عاش العلامة ابن بدران في بيئة صوفية يفشو فيها الجهل، حتىٰ كان بعض من تلقىٰ عنهم ذوي مسلك صوفي، وكانت له رحلة في طريق الهداية شبيهة برحلة الإمام أبي حامد الغزالي، بيد أنه وفق فيها إلىٰ اتباع طريق السلف، يصف هذه الرحلة بقوله:

إنني لما من الله علي بطلب العلم، هجرت له الوطن والوسن، وكنت أبكر فيه بكور الغراب، وأطوف المعاهد لتحصيله، وأذهب فيه كل مذهب، وأتبع فيه كل شعب ولو كان عسرا، أشرف علىٰ كل يفاع، وأتأمل كل غور، فتارة أطوح بنفسي فيما سلكه ابن سينا في «الشفا» و«الإشارات»، وتارة أتلقف

---

(١) الأعلام (٤/ ٣٧).

(٢) علامة الكويت الشيخ عبد الله الدحيان، للشيخ محمد بن ناصر العجمي (ص٨٣).

ما سبكه أبو نصر الفارابي من صناعة المنطق وتلك العبارات، وتارة أجول في مواقف «المقاصد والمواقف»، وأحيانا أطلب «الهداية» ظنا مني أنها تهدي إلىٰ رشد، فأضم إليها ما سلكه ابن رشد، ثم أردد في الطبيعي والإلهي نظرا، وفي تشريح الأفلاك أتطلب خبرا أو خبرا، ثم أجول في ميادين العلوم مدة كعدد السبع البقرات العجاف، فارتد إلي الطرف خاسئا وهو حسير، ولم أحصل من معرفة الله جل جلاله إلا علىٰ أوهام وخطرات... فلما همت في تلك البيداء... ناداني منادي الهدىٰ الحقيقي: هلم إلىٰ الشرف والكمال، ودع نجاة ابن سينا الموهومة إلىٰ النجاة الحقيقية، وما ذلك إلا بأن تكون علىٰ ما كان عليه السلف الكرام من الصحابة والتابعين[1].

**ويقول الشيخ محمود الأرناؤوط:**

«كان حربا علىٰ أصحاب الطرق الصوفية، فحملوا عليه وحاربوه، فانتصر له جمع من العلماء في الشام ممن كانوا يرون أنه علىٰ حق، أمثال العلامة الشيخ جمال الدين القاسمي والعلامة الشيخ طاهر الجزائري، وكانا يحثان الناشئة علىٰ حضور مجالسه والاغتراف من زاده العلمي»[2].

## مؤلفاتــه:

جادت قريحة العلامة ابن بدران بمؤلفات جليلة ومصنفات مفيدة، بلغت قرابة الخمسين مصنفا، من أبرزها:

١) **إيضاح المعالم من شرح العلامة ابن الناظم**، وهو شرح علىٰ ألفية ابن مالك في النحو، يقع في ثلاثة أجزاء.

---

(١) المدخل (ص ٤٢ـ ٤٣).

(٢) ينظر: جريدة الأسبوع الأدبي، العدد: ٥٦٩٠ بتاريخ: ٢٥/ ١٢/ ١٩٩٩م.

٢) **جواهر الأفكار ومعادن الأسرار في تفسير كلام العزيز الجبار**، ذكره في كتابه «المدخل» (ص ٤٤٧) لم يكمل، طبع بتحقيق الشيخ زهير الشاويش رَحِمَهُ اللَّهُ، في مجلد واحد.

٣) **حاشية على أخصر المختصرات للبلباني**.

٤) **حاشية على شرح منتهى الإرادات**. يقع في جزأين، وصل فيه إلى باب السلم.

٥) **حاشية الروض المربع شرح زاد المستقنع**. الجزء الأول، مخطوط.

٦) **ديوان تسلية اللبيب عن ذكرى حبيب**. مخطوط.

٧) **ذيل على طبقات الحنابلة لابن مفلح**. ذكره ناشر «الكواكب الدرية» في فهرس مؤلفات ابن بدران المذكورة على طرة الكتاب.

٨) **سبيل الرشاد إلى حقيقة الوعظ والإرشاد**. جزءان، ذكره العماني في آخر «المدخل» (ص ٤٩٨) والبيطار في مقدمة «منادمة الأطلال».

٩) **شرح سنن النسائي**. ذكره في «المدخل» (ص ٤٧٧) و«كفاية المرتقي» (ص ٥٢).

١٠) **شرح نونية ابن القيم**. أشار إليه في «المدخل» (ص ٦١) و«كفاية المرتقي» (ص ٥٢).

١١) **المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل**.

١٢) **موارد الأفهام على سلسبيل عمدة الأحكام**. في مجلدين.

١٣) **نزهة الخاطر العاطر شرح روضة الناظر وجنة المناظر لابن قدامة**.

## مرضه ووفاته:

عاش المرحلة الأخيرة من حياته في غرفة متواضعة ملحقة بإحدىٰ مدارس الأوقاف، فأصيب بداء الفالج، ونقل إلىٰ المستشفىٰ الذي مكث فيه نحو ستة أشهر، ثم خرج، ليصاب بعدها بضعف في بصره من كثرة الكتابة، إلىٰ أن وافاه الأجل المحتوم بمدينة دمشق، في شهر ربيع الآخر من عام ١٣٤٦هـ الموافق ٢٥/ ٩/ ١٩٢٧م، وذلك في مستشفىٰ الغرباء، ودفن في مقبرة الباب الصغير بدمشق[1].

---

(١) هذه قائمةٌ أعدّها الباحث الشيخ نور الدين طالب الدوميّ، تشتمل علىٰ معظم المصادر التي اهتمّت بالتَّرجمة للشيخ العلامة ابن بدران، مع تحديد أرقام الصَّفحات التي يوجد فيها ترجمتُه في كلّ كتابٍ منها، علىٰ النحو التالي:

◊ **منتخبات تواريخ دمشق**، لتقي الدين الحصني (٢/ ٧٦٢ ـ ٧٦٣).

◊ **أعلام الأدب والفن**، لأدهم الجندي (١/ ٢٢٤ وما بعدها).

◊ **المقدمة التي كتبها محمد بهجت البيطار لكتاب ابن بدران «منادمة الأطلال»** (ط: المكتب الإسلامي).

◊ **ترجمة لابن بدران** كتبها محمد بن سعيد الحنبلي في خاتمة «المدخل إلىٰ مذهب الإمام أحمد بن حنبل».

◊ **الأعلام**، لخير الدين الزركلي (٤/ ٣٧).

◊ **معجم المؤلفين**، لعمر رضا كحالة (٢/ ١٨٤ ـ ١٨٥).

◊ **الأعلام الشرقية**، لزكي مجاهد (٢/ ١٢٨ ـ ١٣٠).

◊ **معجم المطبوعات العربية والمعربة**، لسركيس (ص ٥٤١).

◊ **معالم وأعلام**، لأحمد قدامة (١/ ١٢٣).

◊ **معجم المؤلفين السوريين**، لعبد القادر عياش (ص ٢٥٧).

◊ **تاريخ دومة**، لمعروف زريق (ص ١٠٣ ـ ١٠٤).

◊ **شعراء من دومة**، لمعروف زريق (ص ٩٨ وما بعدها).

◊ **تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري**، لمحمد مطيع الحافظ (١/ ٣٠٠).

◊ **علامة الشام عبد القادر بن بدران الدمشقي**، لمحمد بن ناصر العجمي. =

٢

## محمد بهجة البيطار

(١٣١١هـ/ ١٨٩٤م-١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م)

محمد بهجة بن محمد بهاء الدين البيطار، العالم الفقيه، والمصلح الأديب، والمؤرخ الخطيب، ولد بدمشق سنة (١٨٩٤م) في أسرة دمشقية عريقة، اشتهر كثير من أبنائها بالعلم والأدب والتقوىٰ، وكان جدها الأعلىٰ هبط دمشق مهاجرًا من «بليدة» من أعمال الجزائر في المغرب العربي، واختار لسكناه حي الميدان الكبير.

نشأ محمد بهجة البيطار في حجر والده الشيخ محمد بهاء الدين بن عبد الغني حسن إبراهيم، الشهير بـ«ابن البيطار» وكان والده هذا عالمًا أديبًا يقرض الشعر، محبوبًا من الخاصة والعامة لمؤانسته إياهم، فقد تولىٰ الإمامة فيهم بعد وفاة أبيه، وقد تزوج من ابنة عمه الشيخ عبد الرزاق بن حسن البيطار، الذي كان من كبار علماء دمشق العاملين علىٰ نشر المذهب السلفي، وكان بارعًا في علوم اللغة العربية وآدابها، حسن الرواية حاضر البديهة، ترك عددًا من المؤلفات، أهمها كتاب «حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر» حققه وتولىٰ التعليق عليه سبطه محمد بهجة البيطار، وقام مجمع اللغة العربية بطبعه في دمشق في ثلاثة أجزاء.

---

= مواضع متفرقة من كتب الشيخ ابن بدران؛ كـ«تهذيب تاريخ دمشق» و«المدخل إلىٰ مذهب الإمام أحمد بن حنبل» و«منادمة الأطلال» و«نزهة الخاطر العاطر» و«حاشية أخصر المختصرات» و«تسلية اللبيب» و«العقود الياقوتية» وغيرها.
(انظر: موقع الملتقىٰ الفقهي علىٰ الشبكة العنكبوتية).

**ومن المفارقات أن والده كان من غلاة الصوفية.**

يقول الشيخ علي الطنطاوي رَحِمَهُ اللَّهُ: ومن أعجب العجب أن والد الشيخ بهجة كان صوفيًّا من غلاة الصوفية القائلين بوحدة الوجود، على مذهب ابن عربي وابن سبعين والحلاج[(١)].

تلقى محمد بهجة البيطار مبادئ علوم الدين واللغة على والده الشيخ محمد بهاء الدين، وأتم دراستَيه: الابتدائية في المدرسة الريحانية، والإعدادية في المدرسة الكاملية بدمشق، وتابع دراسته العالية في العلوم الدينية والعربية على والده وعلى جده لأمه الشيخ عبد الرزاق البيطار، وعلى كل من الشيوخ الأعلام في عصره: جمال الدين القاسمي الدمشقي، محمد خضر حسين التونسي نزيل دمشق، وعلى محدث الديار الشامية الكبير محمد بدر الحسيني، ونال الإجازة منهم في مختلف العلوم النقلية والعقلية.

وكان تأثره بالشيخ جمال الدين القاسمي كبيرًا.

قال عاصم البيطار ولد الشيخ بهجة: «وكان والدي ملازمًا للشيخ جمال الدين شديد التعلق به، وكان للشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ أثر كبير، غرس في نفسه حب السلفية ونقاء العقيدة، والبعد عن الزيف والقشور، وحسن الانتفاع بالوقت، والثبات على العقيدة، والصبر على المكاره في سبيلها، وكم كنت أراه يبكي وهو يذكر أستاذه القاسمي»[(٢)].

والحمد لله، أسهم الشيخ في نشر العقيدة الصحيحة... وتولى عددًا من المناصب العلمية... واختير في جمعية العلماء، ثم في رابطة العلماء في دمشق.

---

(١) رجال من التاريخ (ص٤١٦-٤١٧).

(٢) ينظر: جمال الدين القاسمي، لنزار أباظة (ص ٢١٥).

تولىٰ البيطار سنة (١٩١٠م) الخطابة والتدريس في جامع «القاعة» بحي الميدان خلفًا لوالده، وكان خطيبًا بارعًا يخطب ارتجالًا، ثم تولىٰ سنة (١٩١٧م) الخطابة والتدريس في جامع «كريم الدين» الشهير بالدقاق، خلفًا لخاله، وهذا الجامع هو مسجد المحلة التي تقطن أسرة البيطار فيها، وكانت الإمامة والخطابة فيه في أسلاف البيطار لأكثر من مائة عام، وظل محمد بهجة البيطار يخطب ويدرس الناس مختلف العلوم في مسجد محلته إلىٰ أن التحق بالرفيق الأعلىٰ، ولم ينقطع عن ذلك إلا لمرض أو سفر.

سافر للحجاز وحضر مؤتمر العالم الإسلامي في مكة المكرمة عام (١٣٤٥هـ - ١٩٢٦م)، وأبقاه الملك عبد العزيز فجعله مديرًا للمعهد العلمي السعودي في مكة، ثم ولاه القضاء، فاشتغل به مدة، ثم استعفاه، فولاه وظائف تعليمية، وجعله مدرسًا في الحرم، وعضوًا في مجلس المعارف.

وقد كان سببًا في هداية عدد كبير من طلبة العلم والمثقفين والأدباء إلىٰ العقيدة الإسلامية الصحيحة، منهم الشيخ الأديب علي الطنطاوي، حيث يقول عن تلكم الحوارات:

لقد وجدت أن الذي أسمعه منه يصدم كل ما نشأت عليه، فقد كنت في العقائد علىٰ ما قرره الأشاعرة والماتريدية، وهو شيء يعتمد في تثبيت التوحيد من قريب أو بعيد علىٰ الفلسفة اليونانية، وكنت موقنًا بما ألقَوه علينا، وهو أن طريقة السلف في توحيد الصفات أسلم، وطريقة الخلف أحكم، فجاء الشيخ بهجة يقول بأن ما عليه السلف هو الأسلم وهو الأحكم... وكنت نشأت علىٰ النفرة من ابن تيمية والهرب منه؛ بل وبغضه، فجاء يعظمه لي ويحببه إليّ، وكنت حنفيًّا متعصبًا للمذهب الحنفي، وهو يريد أن أجاوز حدود التعصب المذهبي، وأن أعتمد علىٰ الدليل لا علىٰ ما قيل...

وتأثرت به، وذهبت مع الأيام مذهبه مقتنعًا به، بعد عشرات من الجلسات والسهرات في المجادلات والمناظرات[١].

ثم يقول الشيخ علي الطنطاوي رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وكان اتصالي بالشيخ بهجة قد سبب لي أزمة مع مشايخي؛ لأن أكثر مشايخ الشام ممن يميلون إلىٰ الصوفية وينفرون من الوهابية، وهم لا يعرفونها ولا يدرون أنه ليس في الدنيا مذهب اسمه «الوهابية»، وكان عندنا جماعة من المشايخ يوصفون بأنهم من الوهابيين، علىٰ رأسهم الشيخ محمد بهجة البيطار»[٢].

في سنة (١٩٣١م) عاد محمد بهجة البيطار إلىٰ دمشق ليؤم أهل حيه كل يوم ويخطبهم كل أسبوع في جامع الدقاق، بالإضافة إلىٰ تدريس العلوم الدينية والعربية في المسجد وفي بعض المدارس الخاصة، كما تولىٰ تدريس العلوم الشرعية سنة (١٩٣٤م) ولبعض الوقت في كليتَي المقاصد الخيرية للبنين والبنات في مدينة بيروت.

وفي عام (١٩٤٤م) أُوفِد إلىٰ الطائف مدة ثلاث سنوات ليتولىٰ إدارة معهد «دار التوحيد السعودية» بناء علىٰ رغبة الملك عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ.

وفي عام (١٩٤٧م) عهدت إليه جامعة دمشق القيام بتدريس مادتَي التفسير والحديث في كلية الآداب.

وفي سنة (١٩٥٣م) أُحيل محمد بهجة البيطار إلىٰ التقاعد من وظيفته

(١) المصدر السابق (ص ٤١٤).
(٢) المصدر السابق (ص ٤١٦).

الحكومية، فقصر نشاطه على محاضرات في التفسير كلف بإلقائها في كلية الشريعة، وعلى التدريس الديني ووظائف وزارة الأوقاف، إلى جانب إلقاء الأحاديث الدينية والاجتماعية في الإذاعة السورية، وعلى أعمال مجمعية عديدة، حيث كان قد انتخب عضوًا عاملًا في المجمع العلمي العربي بدمشق سنة (١٩٢٣م) ومشرفًا على مجلته.

كان محمد بهجة البيطار من أكثر أعضاء مجمع دمشق حيوية ونشاطًا، شارك زملاءه في إلقاء المحاضرات العامة والأبحاث المتعمقة، وفي تحرير مجلة المجمع، وبالتعريف على صفحاتها بالكتب والمطبوعات التي تدخل موضوعاتها في اهتماماته الشخصية، كما شغل عضوية لجنة المطبوعات في مجمع دمشق منذ (١٩٥٣م)، واستمر على القيام بمهامها في الإشراف على مجلة المجمع ومطبوعاته حتى قبيل وفاته بأسابيع قليلة.

وفي عام (١٩٥٤م) انتخب عضوًا مراسلًا للمجمع العلمي العراقي، عندما تم توحيد مجمعي دمشق والقاهرة سنة (١٩٦٠م) باسم مجمع اللغة العربية، وكان البيطار في مقدمة أعضاء المجمع الذين شاركوا في مؤتمر القاهرة سنة (١٩٦١م).

جرى محمد بهجة البيطار على عادة علماء السلف؛ يقرض الشعر في ساعات الفراغ يؤرخ به لحادثة جرت، أو يهنئ صديقًا بنعمة، أو يعزيه بمصيبة ألمت به، ويستعين بالنظم أحيانًا في تلخيص علم أو تدقيق قاعدة.

ترك البيطار ديوانًا صغيرًا فيه شعر يمدح به الرسول الأعظم ﷺ، كما يتضمن أبياتًا ومقطوعات ومساجلات مع بعض أصدقائه وزملائه المجمعيِّين، أمثال الأساتذة عز الدين التنوخي ومحسن البرازي بدمشق، وأحمد العزاوي في مكة، ومحمد سعيد كمال في الطائف.

قام محمد بهجة البيطار برحلات علمية ودراسية عديدة، أرخ لها في نهاية كتابه «الرحلة النجدية الحجازية»، وشملت رحلاته البلاد العربية والإسلامية والروسية والولايات المتحدة الأمريكية، موضحًا الدافع إلىٰ كل منها، وأهم ما وقع له خلال بعضها.

**ومن تلاميذ الشيخ بهجة**: الشيخ الأديب علي الطنطاوي، وعميد مجمع اللغة العربية عز الدين التنوخي، والعالم المحقق الشيخ عبد القادر الأرناؤوط.

## مؤلفاته:

**ترك عدة مؤلفات وتحقيقات قيمة، منها:**

١) كتاب «**مسائل الإمام أحمد**» لتلميذه الإمام أبي داود السجستاني، وهو أقدم كتب المكتبة الظاهرية، حققه السيد محمد رشيد رضا. «تعليق».

٢) «**أسرار العربية**» لابن الأنباري «تحقيق».

٣) «**قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث**» لمحمد جمال الدين القاسمي «تحقيق وتعليق».

٤) «**الإسلام والصحابة الكرام بين السُّنّة والشيعة**» رسالة.

٥) **تفسير سورة «يوسف»** حيث أكمل التفسير الذي بدأه السيد رشيد رضا (تفسير المنار) مع التقديم له.

٦) **حياة شيخ الإسلام ابن تيمية**. محاضرات ومقالات ودراسات.

٧) «**الرحلة النجدية الحجازية**» صور من حياة البادية.

٨) «**حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر**» لجده عبد الرزاق البيطار «تحقيق وتقديم».

٩) **كلمات وأحاديث**، كان بعنوان: «الثقافتان الصفراء والبيضاء».

١٠) كتاب «**المعاملات في الإسلام وتحقيق ما ورد في الربا**» وقد بدأه محمد رشيد رضا، وأكمله البيطار، ووضع مقدمته.

١١) «**الإنجيل والقرآن في كِفَّتَي الميزان**» بحث.

**وفاتــه:**

توفي محمد بهجة البيطار في دمشق يوم السبت ٣٠ جمادىٰ الأولىٰ ١٣٩٦هـ الموافق: ٢٩ أيار ١٩٧٦ إثر مرض لم يمهله طويلًا.

رحم الله الشيخ محمد بهجة البيطار، فقد كان يحمل لواء الدعوة السلفية في الشام حينما كانت الصوفية سائدة، والتعصب للمذاهب الفقهية غالبًا[1].

(١) من مصادر الترجمة: «علماء الشام في القرن العشرين» «مجلة مجمع اللغة العربية» بدمشق، عدد تشرين أول سنة ١٩٧٦م (ص ٧٨٧ـ ٨٠٤).

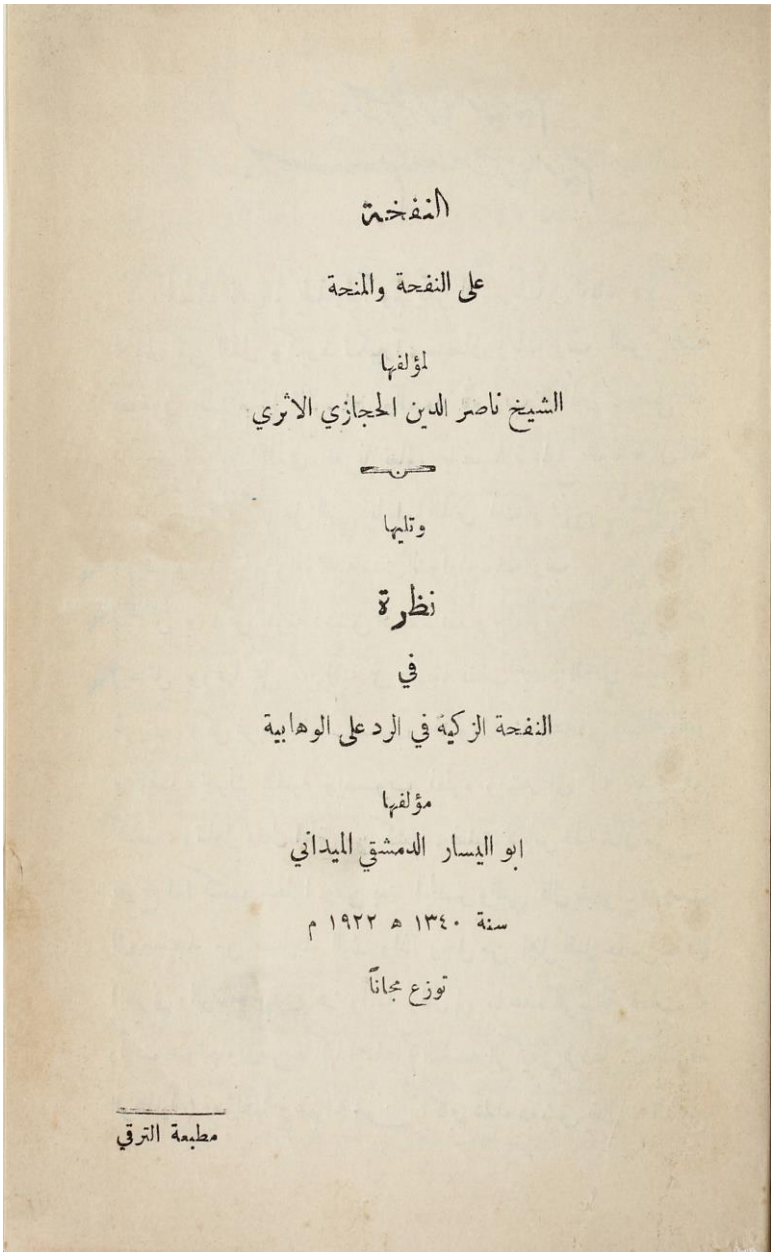

النفخة

على النفحة والمنحة

لمؤلفها

الشيخ ناصر الدين الحجازي الاثري

وتليها

نظرة

في

النفحة الزكية في الرد على الوهابية

مؤلفها

ابو اليسار الدمشقي الميداني

سنة ١٣٤٠ هـ ١٩٢٢ م

توزع مجاناً

مطبعة الترقي

**صورة العنوان من الطبعة الأولى للكتاب**

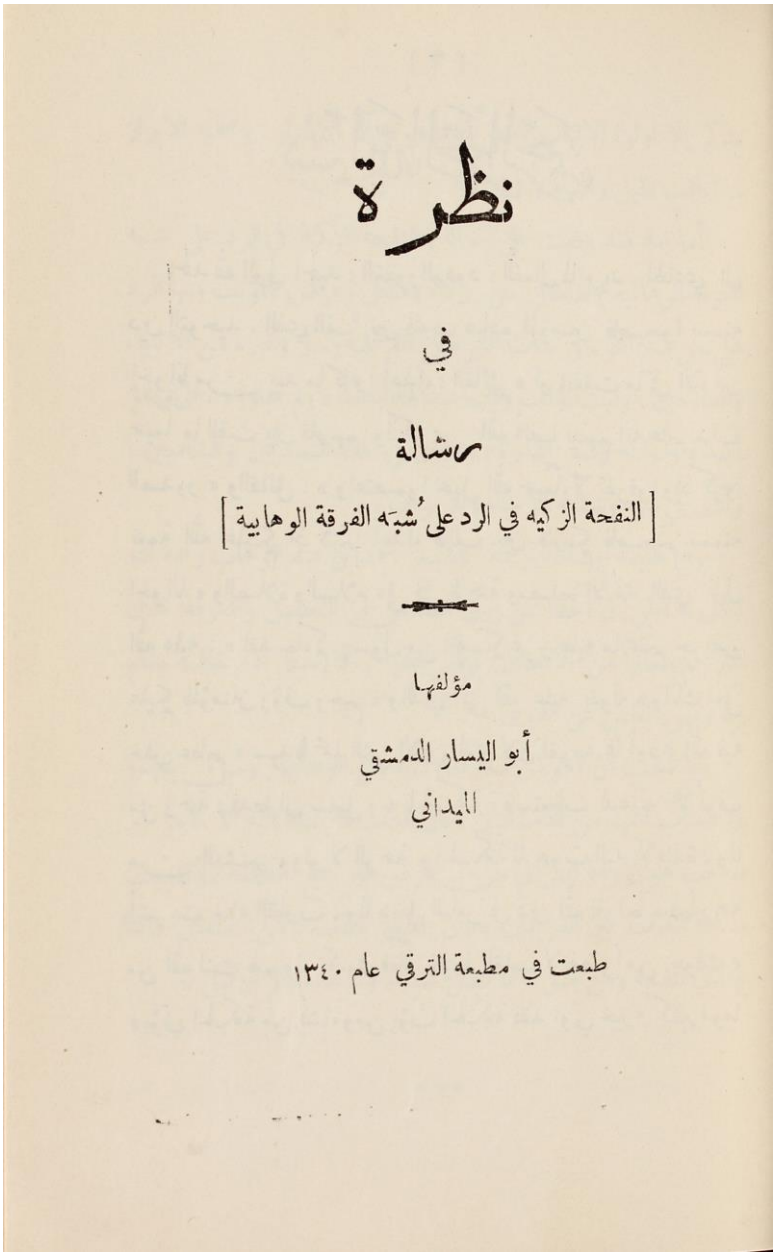

نظرة

في

رسالة

[ النفحة الزكيه في الرد على شبه الفرقة الوهابية ]

مؤلفها

أبو اليسار الدمشقي
الميداني

طبعت في مطبعة الترقي عام ١٣٤٠

**صورة العنوان من الطبعة الأولى للكتاب**

# النفخــة على

# (النفحـــة) و(المنحـــة)

لـمؤلفها

الشيخ ناصر الدين الحجازي الأثري

وتليها

# نظـــرة في

## (النفحة الزكية في الرد على الوهابية)

لـمؤلفها

أبو اليسار الدمشقي الميداني

سنة ١٣٤٠هـ - ١٩٢٢م

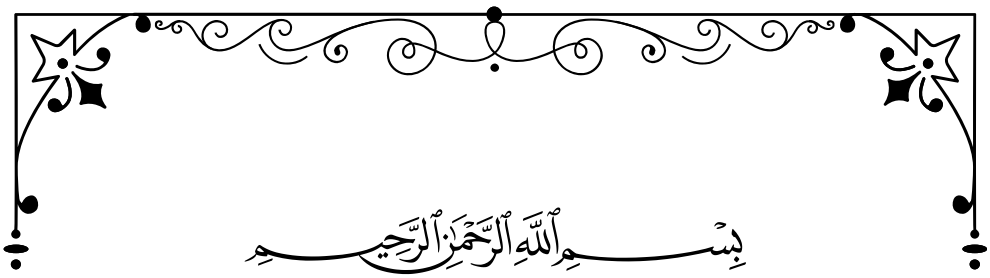


﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴾ [الإسراء: ١١١]، ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الصافات: ١٨٠-١٨٢].

وصلَّىٰ الله علىٰ سيدنا محمدٍ الذي أمرنا تعالىٰ بالصلاة عليه بقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٦]، وعلَىٰ آلِه الكرام وصَحْبه مدَىٰ الدَّوام.

وبعد:

فإنَّني بينما كنت سائرًا في إحدىٰ طُرق مدينة دمشق، إذْ بَصُرْتُ برجلٍ عليه سِيمَا العلم، وبيده رسائلُ يوزِّعها علَىٰ مَن لَقِيَهُ في طريقه، فقلت: يا لَلغُربةِ! إنَّ هذا لنبأٌ غريبٌ، وكلُّ غريبٍ للغريب نَسيبٌ. فدنوْت منه، فأهداني رسالةً، وهو يرتجف، ويُحرِّك شفتيه، ويُصوِّب نَظَرَهُ، ويشير إلىٰ أنه أبدع فيما كتَب، وتناول مَقالَ الحقِّ مِن كَثَبٍ، فقلت: لا بأس، هذا شأنُ مَن يفرح إذا كتب سطرًا، ومَن بعدَ الحصر والعيِّ قال شعرًا.

فذهبت إلىٰ مسجدٍ من مساجد البلد، وإذا رجلٌ من أهل العلم جالسٌ به، فلما أبْصرَني والرسالة بِيَدي هزَّ رأسه وقال لي: ما هذه الرسالة؟ فقلت له: رأيت عُنْوانَها، وإنَّ مَن حَاكَها أسْماها: «النفْحَة الزَّكيَّة في الردِّ علَىٰ شُبَهِ الفرقة الوهابية»، ومؤلفها يزعُم أنه من أكابر علماء دمشق، يُقال له: «الشيخ

عبد القادر الإسكندراني» المُنْتَحل لِنَفْسِه لقبَ «الكيلاني». فقال لي: يا أخي، إنك لستَ من أهل البلد، وليس لك خِبرةٌ فيما هناك، إنَّ مُدَّعِي هذه الرسالة شنَّ الغارَةَ علىٰ كتاب «الفجر الطالع» لِجَميل صدقي الزهاوي[1] وعلىٰ ما لفَّقَه الشيخ دحلان[2]، فأخذ ما اختاره منهما، ولم يزدْ من عنده إلا أحرفًا يسيرةً.

---

(١) جميل الزهاوي أحد شعراء العراق، وكتابه بعنوان: «الفجر الصادق في الردِّ علىٰ منكري التوسل والكرامات والخوارق». وقد ردّ عليه شاعر الدعوة السلفية الشيخ سليمان بن سحمان رَحِمَهُ اللَّهُ في كتاب بعنوان: «الضياء الشارق في رد شبهات الماذق المارق». ولد الزهاوي في بغداد سنة ( ١٢٧٩هـ ) وتوفي فيها سنة (١٣٥٤هـ ). قال عنه محمد رشيد رضا: سمعت من كثير من الذين عرفوا الزهاوي في الآستانة أنه ملحد لا يدين بدين، وقد تهجم الزهاوي علىٰ الشريعة الإسلامية وطعن فيها.
انظر: «الأعلام» (٢/ ١٣٧) «مجلة المنار» (م ١٣، ج ١١، ص ٨٤١) جريدة «أم القرىٰ» عدد (١٠٣).

(٢) في رسالته « الدرر السنية في الرد علىٰ الوهابية» وهي موجودة ضمن كتابه «خلاصة الكلام في أمراء البلد الحرام». وهو أحمد بن زيني دحلان، ولد بمكة سنة (١٢٣٤هـ ) وتولىٰ فيها الإفتاء، له عدة مؤلفات، مات في المدينة النبوية سنة (١٣٠٤هـ). يقول عنه محمد رشيد رضا: إن دحلان غير محدِّث ولا مؤرِّخ ولا متكلِّم، وإنما هو مقلِّد للمقلِّدين، ونقّال من كتب المتأخرين، كما أنه متهم بالتشيع، حيث ألّف كتابا بعنوان «أسنىٰ المطالب في نجاة أبي طالب». انظر: «الأعلام» (١/ ١٢٩) و«معجم المؤلفين» (١/ ٢٩) و«مجلة المنار» (م٧، ص ٣٩٣) و«البيان والإشهار» لفوزان السابق (ص٤٥).
**وانظر لردود العلماء علىٰ ضلالات زيني دحلان:**
١) الشيخ محمد بشير السهسواني الهندي، في كتابٍ اسمه: «صيانة الإنسان من وسوسة زيني دحلان» وهو مطبوع.
٢) الشيخ أبو حبيب الشثري، خرجه أحد أحفاده، واسم الكتاب «تأييد الملك المنان» وهو مطبوع.
٣) العلامة الشيخ أحمد بن عيسىٰ النجدي في كتابه «الرد علىٰ ما جاء في خلاصة الكلام من الطعن علىٰ الوهابية والافتراء لدحلان» وعرفتُ أنه يحقق الآن.
٤) العلامة زيد بن محمد آل سليمان «فتح المنان في نقض شبه الضال دحلان» وهو مطبوع.

فدُهشت لذلك، وأخذت الرسالة أتصفَّحها، وأملي علىٰ مواضع منها تنبيهًا لمؤلفها، عساه إذا رجع إلىٰ تأليف غيرها أن يعلم قاعدة المحققين في الردّ أنهم يُنزِّهون أنفسهم عن السباب والشتْم لِمَن يردّون عليه، ويجعلون نُصْبَ أعينهم قوله تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴾ [الحجرات: ٦]، ثم يأخذ جُملةً مِن كلامه فيُبيِّن الغلط فيها، ثم جملةً وجملةً، حتىٰ يستوفي الكلام بلا تحامل ولا اعتِسافٍ، وأنْ يتلو قوله تعالىٰ: ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴾ [الزمر: ٣١]. ولْيعلَمْ أنه إذا اشتمَّ تلك النفحة، وثاب إليه رُشده، قابل الضدَّ بالضدِّ، ورجع من بعد وِصالها إلىٰ الصدِّ، ولكن

**وكُـلٌّ يـدَّعي وصـلًا لليلـىٰ ... وليلـىٰ لا تقـرُّ لهـم بِـذَاكَا**

وحيث إنَّ ذلك الفاضل لم يسلك في رَدِّه مسلك فنِّ الجدل والأصول والمنطق، جارَيْناه علىٰ مَسلكه، وقلنا: إنَّنا نَلْوي العنان عن ذلك، ونرجع إلىٰ المقصود خِدمةً للحقيقة، فنقول:

صَدَّر صاحب «النفحة» رسالته بما لَفَّقَه الشيخ أحمد دحلان في آخر تاريخ أمراء البيت الحرام[1]، فَسَلك موطئ قدمه حذو النعل بالنعل، بلا تأمُّل ولا تدبرٍ، ولا شك أن الله تعالىٰ يجمع الكلَّ يوم القيامة ثم يُنبِّئُهم بما كانوا يعملون.

وقبيحٌ بمؤلفٍ يملأُ كتابه بالافتراء والتعدِّي، وفي قصة الإفك أعظم رادعٍ لِمَن كان يؤمن بالله ورسوله، ويطلب النجاة لنفسه فيحاسبها خاليًا ﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ [الذاريات: ٢١]. ومهما تملَّق المُتملِّقون واستتر المراؤون،

(١) انظر: خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام (٣٠٥ - ٣٤٧).

فإنَّ الله لا تخفىٰ عليه خافيةٌ، ولا بد أن يَشِفَّ الباطل عن الحق فيظهر ناصعًا واضحًا.

وإليك جملًا مِن كلام صاحب الرسالة تدل علىٰ افترائه بما ادعاه:

قال مستدلًّا علىٰ جواز السبِّ والشتم بحديث: «اذكروا الفاسق بما فيه؛ يَحذره الناس».

أقول: أخرج هذا أبو يَعلَىٰ الموصلِيُّ وغيره بلفظ: «اذكروا الفاجر بما فيه»[(١)].

وذكره السخاوي في «المقاصد الحسنة» وقال: هذا الحديث لا يصحُّ[(٢)].

وقال منلا علي القاري في كتابه «الموضوعات»[(٣)]: قال العقيلي: ليس لهذا الحديث أصلٌ[(٤)]. وقال القلانسي: إنه مُنكرٌ. وقال المنوفي: وحَسَّنه الهروي[(٥)] وليس كذلك؛ فقد صَرَّح جَمْعٌ من محققي الحفاظ بأنه منكرٌ موضوعٌ لا أصل له.

وصاحبنا زاد عليه «يحذره الناس»، ولو أنصف المُستدل لَعدَل عن هذا اللفظ الموضوع إلىٰ ما رواه البخاري في صحيحه عن عائشة ﵂ قالت: قال رسول الله ﷺ: «**لا تسبوا الأموات؛ فإنهم أَفضَوا إلىٰ ما قَدَّموا**»[(٦)] انتهىٰ.

---

(١) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٩/ ٤١٨ رقم ١٠١٠) ولم أجده في مصنف أبي يعلىٰ بهذا اللفظ.

(٢) المقاصد الحسنة (ص ٥٦٢).

(٣) الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة (٤٨٩).

(٤) الضعفاء (١/ ٢٠٢).

(٥) ذم الكلام (٤/ ٢٠٤).

(٦) البخاري (رقم ١٣٩٣).

ومَن طبعُه الوقوع في أعراض الناس يرىٰ لذلك لذةً، ولا يحلو في ذَوقه إلا الغيبة والنميمة واتباع الهوىٰ.

قال عن محمد بن سعود: «أمير الدَّرعية بلاد مسيلمة».

أقول: هَبْ أننا سلَّمنا أنها بلاد مسيلمة، فما الذي تراه مِن ذَمِّها؟!

أليست مصر كانت بلاد فرعون وهامان وقارون، وما الإسكندرية إلا من بعض بلاد مصر؟! أليست بابل كانت بلاد نمروذ؟! أليست مكة كانت موطن أبي جهل وأبي لهب وأضرابهما؟! أليست فلسطين كانت بلاد قوم لوط؟!

هل ضرَّ هذه البلاد شيءٌ من ذلك؟! أم هل تناقص قَدْرها؟! ألم تعلم أن أول من أسس هذا القياسَ من أخبر الله عنه أنه قال: ﴿أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ﴾ [الأعراف: ١٢]؟! وما إخَالُك - يا رَعاك الله - إلا أنك بعد هذا تتبع الحق وتُحسن النظر في القضية.

قال: «**وممن أخذ عنهم الشيخ محمد حياة السندي والشيخ محمد بن سليمان الكردي**[1]**، وكانا يتفرسان فيه الإلحاد، ويحذّران الناس من دَسائِسه**».

أقول: لو أنصف الكاتب لَعَلم أنه يطعنُ في هذين العالِمَين؛ وذلك أن كلًّا منهما أجاز ابن عبد الوهاب بإجازةٍ مُطوَّلةٍ، وأجاز له أيضًا الشيخ عبد الله بن

---

(١) يبعد أن يكون الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ أخذ العلم عن الشيخ محمد بن سليمان الكردي؛ حيث إن المراجع المعتمدة -كابن غنام وابن بشر ونحوهما- لم تذكر ذلك، وإنما تفرد به دحلان في تاريخه الذي سوّده بكم هائل من المفتريات، لا سيما وأن هذا الكردي له أجوبة خطية في مخالفة ما قرره أئمة الدعوة السلفية ومعارضته.
انظر: «دعاوىٰ المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب» (ص٤٣) و«عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب» للعبود (ص١٠٢-١٠٣). [ع]

إبراهيم نَزيلُ المدينة، والمشهور بها، كما ذَكره صاحب كتاب «التوضيح عن توحيد الخلاق»[1]، وأخذ أيضًا عن الشيخ إسماعيل العجلوني مُحدِّث الديار الشامية، والشيخ علي أفندي الداغستاني، وكلهم أَجاز له، فكيف يتفرسان فيه الإلحاد ويجيزانه ويمدحانه في إجازاتهما؟! وهل هذا إلا مكابرةٌ؟! إلىٰ غير ذلك مما افتراه من غير دليلٍ ولا ثبت سِوَىٰ سوء الظن بذلك الرجل! فالله يُلهمنا رُشدنا ويهدينا سواء السبيل.

«**ادعىٰ ذلك الكاتب أنه يتعجب من شِرذِمة تُروِّج في دمشق العقيدة الفاسدة والآراء المُضلِّلة...**» إلخ.

أقول: يا لله العجب! هل مَن يدعو إلىٰ الله ورسوله وإلىٰ عقيدة السلف يُعدُّ ضالًّا مُضلًّا، والذي يدعو إلىٰ التُّرَّهات يُعدُّ صالحًا؟! علىٰ رِسْلِك! تمهَّل وانظر ما كان عليه السلف الصالح والأئمة المجتهدون من الاعتقاد، وتَأمَّل مقالات أبي الحسن الأشعري في «الإبانة» وعقيدة الإمام الطحاوي، وما قاله الإمام البيهقي في كتاب «الأسماء والصفات» وما قاله الإمام الذهبي وغيرهم من أساطين العلماء في التوحيد، ثم ارجع إلىٰ نفسك وقُلْ ما شئت، وتأمل أيضًا ما قاله علماء المذاهب الأربعة الموثوق بهم فيما الناس عليه من البدع، ثم احكم بما شئت.

ألَمْ يَأْتِيكَ والأَنْباءُ تَنْمِي بما قاله الإمام الشاطبي وابن الحاج في «المدخل» وأبو شامة في كتابه «الباعث» وابن وضاح وغيرهم من الأئمة؟! فإن كُنت تَعدُّ أمثال هؤلاء وهابية فَيَا برْد الذي قالت علَىٰ كَبِدِي.

---

(١) (ص ٢٥) وقد شارك في تأليف هذا الكتاب كل من: الشيخ محمد بن علي بن غريب (ت ١٢٠٩هـ)، والشيخ حمد بن معمر (ت ١٢٢٥هـ)، والشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب (ت ١٢٤٢هـ)، رحمهم الله تعالىٰ.
انظر: «دعاوىٰ المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب» (ص٥٩).

قال: «**كان ابن عبد الوهاب مُولَعًا بِمُطالَعة أخبار من ادَّعىٰ النبوة كاذبًا؛ كَمُسيْلمة الكذاب والأَسْود العَنْسي وطُلَيحة الأسدي وسَجَاح وغيرهم، وكان يُضْمر في نفسه دعوىٰ النبوة إلا أنه لم يتمكنْ من إظهارها**».

أقول: (مَن كان يَخلُق ما يقول فَحِيلَتي فيه قليلةٌ) ولكني أقول: كأنَّ صاحب الرسالة ذَهَلَ عن قاعدة: إنْ كنتَ ناقلًا فالصحة، أو مُدَّعيًا فالدليل! فإنْ كنت مُقلِّدًا لدحلان في نقلك، أليس لك ما تُميز به بين الغَثِّ والسمين، فتعلم أنه ما نقل عن هؤلاء القوم إلا فُكاهاتٍ تُضحِك الثَّكْلَىٰ ويَهزأ بها الطفل الصغير؟! فكيف يقبلها عقلُ رجُل بلغ من الذكاء أن أرجع أُمَّةً من الجهل إلىٰ العمل بالكتابة والسنة؟!

وإنْ كنت تُنكر عليه بعض مبالغاتٍ وُجِدت في رسائله، فإنما هي لِحكْمةٍ تعلمها أنت، وهي أنه إذا تمكَّنَت البدع من النفوس وصَعُب استئصالها، قاومها الناصح بالشدة وهوَّل أَمرها ليتمكن من قَلع أصولها، ألا ترىٰ إلىٰ قوله عليه الصلاة والسلام: «**مَن أَتَىٰ عَرَّافًا أو كاهِنًا، فَصدَّقه بما يقول، فقد كَذَّب بما أُنزل علىٰ محمدٍ**»[1] أن أساطين العلماء حَمَلَهُ علىٰ التغليظِ[2] ولا يعاملون مَن فعل ذلك معاملة

---

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (رقم ١٥)، ومن طريقه البيهقي في «السنن الكبرىٰ» (رقم ١٦٥٩٢) من حديث أبي هريرة، وأخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (رقم ١٠٠٣١) من حديث ابن مسعود، وعندهم جميعًا: «فقد كفر بما أنزل علىٰ محمد».

(٢) هذا كلام فيه إجمال، فلا شك أن هذا الحديث ونحوه فيه تغليظ وتخويف، وهو علىٰ حقيقته، نؤمن به ولا نكذّب، ونمرّه كما جاء، ونأخذ بظاهره المفهوم منه بعيدًا عن التأويلات المستكرهة.

انظر: «الإيمان» لأبي عبيد القاسم بن سلّام (ص٨٨) و«مجموع الفتاوىٰ» لابن تيمية (٧/ ٦٧٤، ١٩/ ١٥٠) و«تيسير العزيز الحميد» (ص٤١٦). [ع]

الكافر المعاند[١]، وإنما هَوَّل الأمر لِيَنكَفّ الفاعل عن فعلته، وتأمل أمثال ذلك في الكتاب العزيز وفي السنة الغراء، فإنك تجد الأمر جَليًّا واضحًا، وابن عبد الوهاب لما رأىٰ قومًا تمكّنت الجاهلية من نفوسهم قبَّحها أشد تقبيحٍ وهَوَّل أمرها؛ حتىٰ تمكَّن من استئصالها، وقد وَفَّقه الله تعالىٰ لذلك.

فيَا أيها العزيز الكريم؛ احمل الناس -ولا سيما العلماء- علىٰ أحسن المحامل، ولا تظن أن رجلًا مثل هذا يُكفِّر المسلمين، ولكن قُلْ: إنه سَلَك مَسلك الحديث الآتي: «**مَن حَلَف بغير الله فقد كفَر أو أشرَك**»[٢] في التغليظ، وليس يُريد كفرًا أو شركًا ككُفْرِ المشركين الخُلَّص. وانظر في كُتب الصوفية؛ كيف يجعلون الرِّياء شِرْكًا خفيًّا! وطالع كُتب المَهَرَة منهم؛ كيف يُشدِّدون النكيرَ علىٰ مَن مال قلبُه في صلاته إلىٰ غير الله، تعلَم مقاصد العلماء، ومَا إخالك إلا أنك تعلم ذلك، ولكنك لا تُريد التكلم به لأمرٍ يعلمه الله تعالىٰ.

وأمَّا قولك: «**وكان يُضمِر في نفسه دعوىٰ النبوة، إلا أنه لم يتمكن من إظهارها**».

---

(١) ليس الأمر بهذا الإطلاق، فإن من أتىٰ كاهنًا أو عرافًا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل الله علىٰ محمد ﷺ، فهو كافر من جهة ما فيه من دعوىٰ علم الغيب، ودعوىٰ مشاركة الله تعالىٰ في علمه الذي استأثر به، قال تعالىٰ: ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥].

انظر: «شروح كتاب التوحيد» للشيخ محمد بن عبد الوهاب، باب ما جاء في الكهان ونحوهم، وإن كان ثمت نزاع في الكفر في هذا الحديث؛ هل هو كفر دون كفر أو يتوقف فيه؟ روايتان عن الإمام أحمد.

انظر: «تيسير العزيز الحميد» (ص ٤١٦) و«فتاوىٰ الشيخ محمد بن إبراهيم» (١/ ١٦٤). [ع]

(٢) أخرجه أبو داود (رقم ٣٢٥١)، والترمذي (رقم ١٥٣٥) وقال: حديث حسن.

فهذه دعوىٰ كشفٍ واطلاعٍ علىٰ ما في القلوب، فهي بين أمرين: إما تصريحٌ بالكذب، وإما مشاركةٌ لله تعالىٰ في قوله: ﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴾ [غافر: ١٩]، فاختر أي الشِّقَّين شئتَ. وإن كنت مُدعيًا فعليك الدليل من كُتبه التي طُبعت في الهند وفي مصر وسارت في الأقطار.

وأما باقي ما نسبته إليه فأشياء الْتَقطتَها مِن أفواهِ الأعداء والرِّعاع، والعاقل لا يُقيم لذلك وزنًا. وهَبْ أن بعضها صحيحٌ، فإنها جاريةٌ علىٰ النمطِ الذي قدمناه.

ومما يُوضح لك افتراءَ مَن نَسَبَه إلىٰ دعوىٰ النبوة: أن الاجتهاد أدنىٰ من دعوىٰ النبوة بلا شك، ومع ذلك فإنَّه لم يَدَّعِ الاجتهاد في الفقه، ونادَىٰ علىٰ نفسه أنه مُقلد في الفروع للإمام أحمد بن محمد بن حنبل رضي الله عنه وألَّف في مذهبه كتابًا مُستمَدًّا من «الشرح الكبير» لشمس الدين المقدسي، ومن كتاب «الإنصاف» للقاضي المرداوي، وليس له فيه ترجيحٌ ولا دَعوىٰ اجتهادٍ، والكتاب موجودٌ في خِزَانةِ الكُتب الخديوية في مصر، وليس له بعده سِوىٰ رسائل تشبه المكاتبات، فيا لله والإنصاف!

**أما دعواك أنه كان يُكفِّر جماعةً من أكابر العلماء؛ كالغزالي والشيخ الأكبر**[1] **والبوصيري**، فهذا شيءٌ لم نَره في كتبه. وهَبْ أن الأمر كذلك في حق الأوَّلَين، فتلك مناقشاتٌ تجري بين العلماء، ولا يريدون بها إلا إظهار الحق، وإنْ كنت في ريبٍ من ذلك فانظر ما كتبه البقاعي صاحب التفسير[2] وغيره

(١) لعل تعبيره موافقة لعصره وبيئته التي كان فيها المردود عليه! وإلا فابن عربي المتوفىٰ سنة (٦٣٨هـ) صوفي غالٍ ملحد. انظر: كتاب «تنبيه الغبي إلىٰ تكفير ابن عربي» للعلامة البقاعي، فقد نقل فيه فتاوىٰ العلماء الذين أفتَوا وصرحوا بكفره وزندقته.

(٢) له رسالة في الرد علىٰ الغزالي بعنوان: تهديم الأركان من "ليس في الإمكان أبدع مما كان".

علىٰ كلمة الغزالي: "ليس في الإمكان أبدع مما كان". وما اعترض به الجمُّ الغَفِيرُ مِن فَطاحِل العلماء علىٰ مقالات الشيخ الأكبر، وما انتصر به محبوه له، وهذا شأن العلماء، فدخول المقصِّرين بينهم بمجرد المَيْل القلبيِّ والمحبة دخولٌ علىٰ حَدِّ المثل العاميِّ: (جاء الأُمراءُ يَحْدُون خَيْلَهم فمدَّت الخُنْفُساءُ رِجْلَها)!

نَعم، لك في الدخول عذرٌ، وهو أنك رأيت العَامَّة يميلون لهذين الرجلين، فقصدت إلقاء عداوة الرَّجل في القلوب بسببهما، مع أنه لم يناقشهما ولم يتعرَّض لهما، وإنما المعترض غيره. وأما البوصيري فالمتكلِّم عليه غيرُ ابن عبد الوهاب في رسالةٍ صغيرةٍ مطبوعةٍ في جملةِ رسائل بِمَطْبع هنديٍّ، وذلك الرجل لم يتكلم إلا علىٰ بيتٍ واحدٍ في «البُرْدَةِ» وهو قوله:

**يَا أَكْرَمَ الخَلْقِ مَا لِي مَنْ ألوذُ به سِوَاكَ عِند حُلول الحادِث العَمِم**

**وخُلاصة الاعتراض** أنه ناقَشَه في بحثٍ بيانِيٍّ فقال: إنَّ الاستثناء بعد النفي يُفيد الحصر[1]، وهذا لا تُنكره أنت ولا غيرك، وإذا كان الأمر كذلك فالبوصيري حصر المطلوب في النبي ﷺ لم يتجاوزه إلىٰ الله ﷻ، ومثل هذا ينكره السيد الأعظم ﷺ، وما إخالك تُسَلِّم بأنْ يكون الله تعالىٰ في مِثل ذلك الموقف العظيم نَسْيًا مَنْسيًّا، وإن كنت تحب ذلك فَلَكَ رأيك.

---

(١) لعل المقصود بصاحب الردّ هاهنا الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب، كما جاء في رسالته الموسومة بـ«المحجة في الرد علىٰ اللجة» مطبوعة ضمن مجموعة التوحيد (ص٤٤١) حيث قال رَحِمَهُ اللَّهُ عن هذا البيت: يا أكرم الخلق... (فقد تضمنت غاية الإطراء والغلو الذي وقعت فيه النصاري وأمثالهم، فإنه قصر خصائص الإليهة والربوبية التي قصرها الله علىٰ نفسه وقصرها عليه رسول الله ﷺ فصرفها لغير الله). كما أن للشيخ عبد الرحمن بن حسن عدة أجوبة وردود علىٰ «بردة البوصيري»، وكذا العلامة عبد الله بن عبد الرحمن أبو بطين. انظر: «الدرر السنية، مختصرات الردود». [ع]

**وأما إيماؤُك بأنه اعتراض على البوصيري في مدح النبي ﷺ** فتلك مغالطةٌ يُراد بها التمويه وتضليل الأفكار، ومثل هذا يستحيل وُقوعه من عاقلٍ بعد أن مَدَحه تعالىٰ في كتابه العزيز! فالحذرَ من تفريق الكلمة بالمغالطات أيها الناصح الأمين!

**أما دَعْواك بأنه كان يُصرِّح بتكفير الأمة منذ ستمائة سنةٍ، ويُكفِّر كلَّ مَن لا يَتّبعه، ويُثْبت الإيمان لِمَن اتبعه، وكان يُنقص قدْر النبي ﷺ بعباراتٍ أُنزِّهُ نفسي عن كتابتها، وأنه كان يكره الصلاة على النبي ﷺ، وأنه أحرق كثيرًا من كُتب أهل السنة والحديث**... إلىٰ غير ذلك مما لا أُريد أن يكتبه قلمي.

فبالله عليك تَثَبَّت في النقْل، وكُنْ مُنصفًا خائفًا من الله ﷻ، واعلم بأنك محاسَبٌ غدًا علىٰ جميع ما يصدر عنك؛ فإن الرجل قد قَدِمَ علىٰ ربه، ولم نجدْ شيئًا من هذا في كُتبه، ولا أخبر به الثِّقات عنه. وهؤلاء الذين تدَّعي أنهم من أتباعه، إذا خاطبت العامي منهم وجدته إما حافظًا لكتاب الله تعالىٰ جميعه، وإما حافظًا لأكثره، ولَوَجدتَه مستحضرًا لكثيرٍ من الأحاديث المروية في الصحيحين وفي السنن ما لم يستحضره أكبر عالمٍ في مسقط رأْسك، وإذا قابلت عامَّتهم بعامَّة بِلادك لم يسعْكَ إلا أن تُنادِي بأنهم علماء!

فأَنْصف من نفسك، ولا تخطَّ بيدك إلا شيئًا يسرّك في القيامة أن تراه، وإذا نقَّبْت عن خزائن الكتب في بلادهم وجدت أكثرها كتب الحديث الموثوق بها، ووجدتها قد ضَمَّت في بطونها تفاسير القرآن الكريم المبنية علىٰ الأثر؛ كتفسير الطبري، وما كان موجودًا قبل طَبْعه إلا في بلادهم، وكتفسير ابن كثير ذلك الحافظ المشهور، وأمثال هذه النفائس. ولو تأملت صلاتهم لوجدتهم يجعلون الصلاة على النبي ﷺ رُكنًا من أركان الصلاة في التشهد الأخير، وغيرهم

يجعلها سنةً! فكيف تدَّعي أنهم يكرهون الصلاة على النبي ﷺ؟! بل قد قال كثيرٌ من علماء مذهبهم: إن الصلاة عليه ﷺ واجبةٌ كلما ذُكر.

**وأما أنه كان يمنع من زيارة الرسول، ولا يأخذ بأقوال المجتهدين**... إلى آخر ما ادعَيْته، فأظنك تصوَّرت رجلًا خياليًّا على سبيل التجريد، ونسبتَ إليه ما قلت - سامحك الله - ألم أقل فيما سبق: إن له كتابًا في الفقه، وأخبرتك عن مَحَلّ وجوده؟! فإن كنت تُحب الحق فاكتب إلى مَن شئْت ليتصفَّح الكتاب ويخبرك؛ هل يجد فيه شيئًا من ذلك؟

على أنَّ مَن يُنكر أقوال المجتهدين لا يؤلف كتابًا في مذهب أحدهم، ولكن بعض الناس أُسَراء لتقليد بعضهم بعضًا في النَّقل من غير تمحيصٍ، وإذا قام في ذهنهم بُغض شخصٍ نسبوا إليه كلَّ نَقيصَةٍ وألصقوا به كلَّ افتراءٍ، وليس هذا من مذاهب المسلمين، ولا المسيحيين، ولا الموسوِيِّين.

على أنَّنا لا ندَّعي العصمة للرجل، ولا ندافع عنه، وإنما قصدنا إظهار الحق، وكل إنسان لا يَخلو من هفواتٍ، ويأبَى الله العصمةَ إلا لِكِتابه، غير أن الافتراء شديدُ الوطْأة على العقلاء، وأكْلُ لحوم الناس مَوْتَى نهى عنه الله تعالى في كتابه العزيز، بل وأي مسلمٍ يمنع من زيارة الرسول؟! فاتّق الله يا هذا، واترك مسائل قد فُرِغ منها، ودعنا من الترَّهاتِ والأباطيل!

مَن أنْبأك أنه كان يَنهَى عن الدعاء بعد الصلاة؟! وهبْ أن الأمر كان كذلك، فأنت أقمتَ له العذرَ من نفسك، وقلت: إنه كان يقول: تطلبون أجرًا على الصلاة! فأقَمْتَه مقامَ العارفين بالله تعالى وأنت لا تشعر! ولا يَعزُب عن ذهنك أن هذا مقامٌ يَحومُ حوله العارفون، حتى نُقِل عن رابعة العدوية أنها كانت تقول: إلهي، ما عبدتك خوفًا من نارك ولا طمعًا في جنتك،

ولكن عبدتك ابتغاء وجهك الكريم[١]. وقال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥].

وإذا دقَّقْتَ أقوال الصوفية الحقيقيين تراهم يجعلون الصلاة لأجلِ الأجرِ شِركًا، وأظن أنك كثيرًا ما تذكر هذا في دروسك العامة، فكيف تُنكره علىٰ غيرك؟!

**تَدَّعي أنه كان يحقرُ الأئمة، ويقول: إن الشريعة واحدةٌ، فما بال هؤلاء جعلوها مذاهب أربعة؟!**

فلو أصغيتَ لكلامك وتأملتَه لدَخَل ميدان قلبك شيءٌ، فأما دعوىٰ التحقير فدعوىٰ بلا دليلٍ، وأما كوْن الشريعة واحدةٌ، فهذا حقٌّ عند كل عاقلٍ، فاجعلها أنت متعددةً، ولَك الخيار.

وأمّا ادعاء أنّ كلَّ مذهبٍ شريعةٌ - كما يَلوح من خلال كلامك - فذلك لا أصل له، ومتىٰ رأيتَ المذاهب يُخالف بعضها بعضًا في الأصول! أو رأيتَ أحد الأئمة يقول: الشريعة كذا وكذا، ويُخالفه الآخر؟! وما الأئمة كلهم إلا يخدمون شريعةً واحدةً، غاية ما اختلفوا فيه فروعٌ اجتهاديةٌ؛ هذا يقول: ظهر لي أن الحكم كذا، وهذا يقول: ظهر لي أن الحُكم علىٰ خِلافه، وما أحدٌ منهم قال: إنَّ مذهبي هو الشريعة، وخالفه الآخر فقال: لا، إنّ الشريعة هي مذهبي! معاذ الله أن يصدر منهم ذلك! فأنت الذي حقرتَ الأئمة لا غيرك.

---

(١) غلطت رابعة العدوية في تلك المقالة؛ فإن طلب الجنة والخوف من النار طريق أنبياء الله ورسله وجميع أولياء الله تعالىٰ كما دلّت علىٰ ذلك الأدلة، لا سيما وأن النظر إليه سبحانه وابتغاء وجهه الكريم داخل في نعيم الجنة، فالمؤمن يعبد الله تعالىٰ طمعًا في جنته وخوفًا من ناره وابتغاء وجهه، فليست الجنة مجرد التنعم بالأكل والشرب ونحو ذلك كما توهم أولئك المتصوفة. انظر: «الاستقامة» لابن تيمية (٢/ ١٠٤-١١٧). [ع]

قال بعد أن وصف أكثر أهل جزيرة العرب بالجهل والجفاء وخشونة الطبع: **اتفق لي أن مفتي تيمة -وهو عبد الله بن خَلف[١]- طلب منه أن يقرأ عليه في النحو والصرف، فكان يحضره مع صغار الطلبة، وكذلك القاضي الشيخ عبد الله بن مرعي[٢] قرأ عنده من الكتب العربية ما هو أدنىٰ من كتاب «القَطْر»...** إلىٰ آخر ما أطال به.

أقول: وا عجبًا من هذا القياس! أما ابن خلف فما أكثر المسمَّيْنَ بهذا الاسم في البلاد النجدية! وهَبْ أنه هو الذي عَناهُ، فما هو إلا رجلٌ رماه الدهر بِمَن لا يحسن التعليم أيامًا، ثم لمَّا لم يجد نفعًا ترك القراءة، ففتح الله عليه عند معلمٍ آخر. فَلَيْتَ شِعْرِي؛ هل قراءة «قطر الندىٰ» من الذنوب التي لا تغتفر! أم قراءته من الأفعال التي يُعاب فاعلها؟!

وأما ابن مرعي فإنه دمشقيُّ الأصل لا نجديّ، ولو سلَّمْنا أن هذين من الأغبياء؛ هل يُقاس عليهما كلُّ نجديٍّ؟! وهل إذا رأينا عشرة من الأغبياء في الإسكندرية نجعل أهل الإسكندرية كلهم أغبياء؟!

والذي يظهر أن عدم استفادة المتعلم من المعلِّم يكون إمَّا مِن عدم معرفة المعلِّم بذلك العلم، وإما من عدم إخلاصه؛ فتأمل!

لكنْ فات المُصنِّف أن يتذكر قضاة القضوات في سوريا ومَفاتِيهم، كذا ظَهر لي، والله أعلم.

---

(١) انظر: ترجمته في «علماء نجد خلال ثمانية قرون» للشيخ عبد الله البسام (٤/ ١١٢) و«زهر الخمائل في تراجم علماء حائل» لعلي الهندي (ص١٦).

(٢) انظر ترجمته في «علماء نجد خلال ثمانية قرون» للشيخ عبد الله البسام (٤/ ٤٨٦) و«زهر الخمائل في تراجم علماء حائل» لعلي الهندي (ص١٤).

إنَّ المصنف للنفحة ناقَضَ نفسَه بِنفسِه:

فقال أولًا: **إن ابن عبد الوهاب لما سَوَّلت له نفسه أن يبتدع دينًا جديدًا صنَّف رسالةً**. فذَكَر أوصافها ثم قال: **تقرأ هذه الرسالة فتراها مُفْعَمة بالآيات القرآنية**... إلىٰ آخر ما قاله، فانظر التناقضَ؛ فإنَّ الذي يستدل بالآيات القرآنية لم يبتدع دينًا جديدًا، وإنما المبتدع لدينٍ جديدٍ هو من ينبذ القرآن ظِهْرِيًّا، ويجعل العادات والبدع دينًا.

ناقض نفسه ثانيًا؛ فإنه **زَعم أولًا بأن صاحب «الكشف»**[(١)] **كَفَّر مَن يتوسّل بالرسول** ﷺ[(٢)]، ثم قال: **إن المسلم المتوسِّل بالرسول لم يعبده ولم يتخذه إلهًا**... إلىٰ آخر كلامه، فانظر إلىٰ هذا التباين، وأخبرني مَن الذي يُكفِّر مَن يتوسَّل بالرسول علىٰ سبيل التبرُّك؟! وهل ندَّد ابن عبد الوهاب وغيره من العلماء إلا بِمَن يَلوح مِن فِعْلِه وخِلال كلامه اعتقاد أن المتوسَّل به قادرٌ علىٰ النفع والضر، وأنه يُغيثُ عند الشدائد، ويفرِّج الكربات، ويقضي الحوائجَ[(٣)]؟!

---

(١) يقصد الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ في رسالته «كشف الشبهات».

(٢) يقول الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب عن تلك الدعوىٰ: «فالمسائل التي شنّع بها -يعني ابن سحيم أحد خصوم الشيخ- منها ما هو من البهتان الظاهر» وذكر الشيخ منها «قوله: إني أكفر من توسل بالصالحين، وجوابي أن أقول: سبحانك هذا بهتان عظيم!» «مجموعة مؤلفات الشيخ» (٥/ ٦٤).

(٣) يقول الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب: «ولكن إنكارنا من دعا المخلوق أعظم مما يدعو الله تعالىٰ، ويقصد القبر يتضرع عند ضريح الشيخ عبد القادر أو غيره يطلب منه تفريج الكربات، وإغاثة اللهفات، وإعطاء الرغبات، فأين هذا ممن يدعو الله مخلصًا له الدين لا يدعو مع الله أحدًا؟! ولكن يقول في دعائه: أسألك بنبيك أو بالمرسلين، لكن لا يدعو إلا الله مخلصًا له الدين، فأين هذا ممن نحن فيه؟!» «مجموعة مؤلفات الشيخ» (٣/ ٦٨).

ولو أَنْصفت من نفسك، ودقَّقت مقالات مَن يتكلم في هذا الموضوع، لَنادَيت بالإنصاف مِلءَ فِيكَ، وعلمتَ أنهم لم يقولوا إلا طِبْق ما تعتقده في قلبك.

ولو تأملت ألفاظ كثيرٍ من العوام خاليةً عن نداء الله تعالىٰ ومفعمة بنداء غيره، لَرُبما ساءَك ذلك، فبالله عليك؛ هل كان الصحابة علىٰ ما بعض الناس عليه اليوم، أم كان عليه التابعون، أم الأئمة المجتهدون؟!

فإن جنحتم إلىٰ تأويل ألفاظ العوامّ الذين لا يعرفون الحقيقة من المجاز، ولا فهموا أن في الكلام محذوفًا في قولهم: يا فلان! بأن معناه: يا رب فلان! رددناه بأن العبرة في الأحكام باللفظ[1]، ألا ترىٰ أنه لو قال قائلٌ لزوجته: أنت طالقٌ. ولما دُعي إلىٰ الحاكم لإثبات الطلاق عليه قال: أردت في نفسي: إنْ صعدَت إلىٰ السماء، هل يُقبل منه ذلك حُكمًا؟! كذلك من قال عند القيام أو غيره: يا فلان! لم يقصدْ سِوَىٰ أنه ناداه لِيُعينه، ولو فرضنا أنه حين ناداه يعلم بأنه لا ينفع ولا يضر، أليس مقاصد القوم أن يجعلوا العوام مُعلِّقين ثقتهم بالله تعالىٰ وأن يُعوِّدوا لسانهم علىٰ ندائه خوفًا من أن يتسرَّب إليهم ما تسرب إلىٰ الأمم قبلهم؟! ومن قواعد الشرع منْع الوسائل خوفَ الوقوع في المقاصد، فمَنَع من مغازلة الأجنبية خوف الوقوع في الزنا؛ لأن المغازلة سببٌ له، إلىٰ غير ذلك مما هو معلومٌ، فتأمل وأنصف.

---

(١) قول المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ بأن العبرة في الأحكام باللفظ يحمل ذلك إذا ظهرت مطابقة القصد للفظ، فإذا ظهر قصد المتكلم لمعنىٰ الكلام وجب حمل كلامه علىٰ ظاهره المتبادر منه، بخلاف الألفاظ التي يظهر بأن المتلكم لم يرد معناه. انظر: «إعلام الموقعين» لابن القيم (٣/ ١٠٧-١٠٨). [ع]

ثم إنَّ صاحب «النفحة» حكىٰ كلامًا طويلًا أجاد فيه، ولكنه في آخر الأمر جَرَّته الحَمِيَّة إلىٰ أن نسَب لجماعةٍ من المسلمين أنهم يعتقدون بأن الله جِسمٌ، فوقَع في أعظم مما وقع به ابن عبد الوهاب؛ لأنه إنْ كان قال ذلك بأنهم قالوا هذا القولَ بطريقِ الدِّلالة الالتزامية واعتبرها مقبولةً، فيُقال مثلها في حق من دافع عنهم، بأن فِعلهم يدل علىٰ الشرك بطريق الدلالة الالتزامية، ونحن لا نوافقه علىٰ ذلك، علىٰ أنه لم يبلغنا أن المشركين اعتقدوا أن الله تعالىٰ جسم، فضلًا عن المؤمنين - تعالىٰ الله عن ذلك علوًّا كبيرًا -، وإنْ قال ذلك نقلًا عن عقائدهم وكتبهم فَلْيبيِّنْ لنا النقل.

ثم أَتىٰ بالطَّامَّة فقال: **(نعَم، إن الوهابية لما اعتقدوا أن الله جسمٌ استوىٰ علىٰ عرشه في السماء، لم تجد للتبرُّك الذي يقصده المسلمون بتوسُّلهم معنىٰ غير التقرب الذي يكون للأجسام)**.

أقول: كأنه لم يقرأ قوله تعالىٰ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] حتىٰ قال: إن الوهابية نسبوا هذه الصفة لله تعالىٰ! فاعترض بأنه يَلزم من الاستواء الجِسْميَّةُ، وحيث إن دلالة الالتزام معتبرةٌ عنده في الاعتقاد، يكون قد نسب القول بالجسمية إلىٰ سائر السلف، حتىٰ إلىٰ الصحابة والتابعين والأئمة -رضوان الله عليهم-، بل وإلىٰ الإمام الأشعري، فإن ذلك الإمام صَنَّف آخرَ أَمْره كتابًا سماه «الإبانة» بيَّن فيه عقيدته، والكتاب طُبع في مطبع الهند، ونَقل مُعظمَه الحافظُ ابن عساكر في كتابه «الانتصار»[1].

(١) هو كتابه «تبيين كذب المفتري فيما نسب إلىٰ الإمام الأشعري» الذي انتصر فيه للأشعري!

**ومما قال الأشعري في هذا الكتاب:**

«وجملة قولنا أنْ نقرَّ بالله وملائكته وكتبه ورسله، وبما جاء من عند الله، وما رواه الثقات عن رسول الله ﷺ، لا نردُّ من ذلك شيئًا»[(١)].

ثم قال: «وأن الله مستوٍ علىٰ عرشه، كما قال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، وأن له وجهًا[(٢)] كما قال: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧]، وأن له يَدَيْنِ[(٣)] كما قال: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]، وقال: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]، وأنَّ له عينينِ[(٤)] كما قال: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر: ١٤]»[(٥)].

إلىٰ أنْ قال: «نُثْبت لله علمًا، ونُثبت لله قوةً[(٦)] كما قال: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [فصلت: ١٥] ونُثبت له السمع والبصر، ولا نَنْفي ذلك كما نفته المعتزلة والجَهْميَّة والخوارج.

ونقول: إن كلام الله غيرُ مخلوقٍ، وإنه لم يَخلُق شيئًا إلا وقد قال له: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ١١٧]، وأنه لا يكون شيءٌ من خيرٍ وشرٍّ إلا ما شاء الله، وأنَّ أحدًا لا يستطيع أن يفعل شيئًا قبل أن يفعله الله، ولا يستغني عن الله، ولا يقدر علىٰ الخروج من عِلْم الله، وأنه لا خالق إلا الله، وأن أعمال العباد مخلوقةٌ لله مَقْدورةٌ له، كما قال تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾[الصافات: ٩٦]»[(٧)].

---

(١) الإبانة (٢١).
(٢) بعدها في «الإبانة»: بلا كيف.
(٣) بعدها في «الإبانة»: بلا كيف.
(٤) بعدها في «الإبانة»: بلا كيف.
(٥) الإبانة (٢٢).
(٦) في الأصل: قدرة. والمثبت من «الإبانة» وهو الموافق للآية.
(٧) الإبانة (٢٣).

إلىٰ أنْ قال: «وأن الخير والشر بقضاء الله وقَدَره، وأنَّا لا نملك لأنفسنا نَفعًا ولا ضرًّا إلا ما شاء الله، وأننا نلجأ في أمورنا إلىٰ الله، ونُثبت الحاجة والفقر إليه في كل وقتٍ، وندينُ بأن الله يُرىٰ بالأبصار يوم القيامة كما يُرىٰ القمر ليلة البدر»[(١)].

إلىٰ أن قال: «وندين الله أن الأئمة الأربعة راشدون مهديون، ونُصدِّق بجميع الروايات التي أثبتها أهل النقل من النزول إلىٰ السماء الدنيا، وأن الرب يقول: هل مِن سائلٍ؟ هل مِن مستغفرٍ؟ وسائر ما نقلوه وأثبتوه.

ونُعوِّل فيما اختلفنا فيه علىٰ كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وإجماع المسلمين، وما كان في معناه، ولا نبتدع في دين الله بدعةً لم يأذن الله بها، ونقول: إن الله يجيء يوم القيامة، كما قال: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢]، وأن الله يقرب من عباده كيف شاء، كما قال تعالىٰ: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦]، وكما قال: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾[النجم: ٩]»[(٢)].

ثم قال الإمام الأشعري في الرد علىٰ المعتزلة: «ودفعوا أن يكون لله وجهٌ، مع قوله: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧]، وأنكروا أن يكون له يَدان، مع قوله ﷻ: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]، وأنكروا أن يكون له عينان، مع قوله تعالىٰ: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر: ١٤]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾[طه: ٣٩]»[(٣)]. إلىٰ غير ذلك مما ذكره في كتابه «الإبانة».

---

(١) الإبانة (٢٥).
(٢) الإبانة (٢٩ – ٣٠).
(٣) الإبانة (١٨).

وكأني بِمُجازفٍ يَدَّعِي أن الكتاب المذكور المطبوع في الهند مدسوسٌ علىٰ الأشعري، وُيقيم دليلًا علىٰ ذلك نسبة التأويل إليه.

فنقول: إنَّ الحافظَ علي بن عساكر من أكثر أتباعه انتصارًا له، حتىٰ ألف في الانتصار له كتابًا سماه «تَبْيين رد المفتري علىٰ الأشعري»، وقد رأيته في إحدىٰ خزائن الكتب في دمشق، وقد أثبت أن هذا الكتاب له، ونقل منه نحو خمس ورقاتٍ، ونقل عنه في أثنائها أنه قال:

فإن قال قائلٌ: قد أنكرتم قول المعتزلة والقدرية والجهمية والحرورية والرافضة والمرجئة، فعرِّفونا قولكم الذي تقولون وديانتكم التي تدينون بها. قيل له: قولنا الذي به نقول وديانتنا التي ندين بها التمسكُ بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ وما روي عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث، ونحن بذلك معتصمون، وبما قاله أحمد بن حنبل -نضَّر الله وجهه، ورَفَع دَرَجَته، وأجْزَل مَثوبَته- قائلون، ولمن خالف قوله مُجانِبون[1]. ثم سرد عقيدته، كما تقدم بعضها.

ثم قال ابن عساكر: فتأملوا -رحمكم الله- هذا الاعتقاد، ما أَوْضحَه وأَبْيَنَه! فاعترفوا بفضل هذا الإمام العالم الذي شرَح وبيَّن[2].

ثم قال: إن أصحاب الأشعري يعتقدون ما في «الإبانة» أشد اعتقادٍ، ويعتمدون عليها أشد اعتمادٍ، وإنهم يُثبتون لله تعالىٰ ما أَثْبته لنفسه من الصفات، ويصفونه بما اتصف به في مُحْكَم الآيات، وبما وصفه به نبيه ﷺ في صحيح الروايات، ويُنزِّهونَه عن سمات النقص والآفات، فإذا وجدوا مَن يقول بالتجسيم والتكييف، فحينئذٍ يَسلُكون طريق التأويل؛ خوفًا من وقوع مَن

(١) تبيين كذب المفتري (١٥٧ – ١٥٨).
(٢) تبيين كذب المفتري (١٦٣).

لا يعلم في ظلمِ التشبيه، فإن أَمِنوا من ذلك رأوا أن السكوت أَسْلم، وترك الخوْض في التأويل إلا عند الحاجةٍ أحزمُ[١].

وقد كان الإمام أبو إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني من أعيان أهل الأثَر بخُراسان، قلما كان يخرج إلىٰ مجلس درسه إلا وبيده كتاب «الإبانة» لأبي الحسن ويُظهر الإعجاب به، ويقول: ماذا الذي يُنكر علىٰ مَنْ هذا الكتاب شَرَحَ مذهبه![٢].

ثم قال ابن عساكر: ولسنا نرىٰ الأئمة الأربعة الذين عنيتم[٣] في أصول الدين مختلفين، بل نراهم في القول بتوحيد الله وتنزيهه في ذاته وصفاته مؤتلفين، وعلىٰ نفي التشبيه عن القديم سبحانه مجتمعين، والأشعري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الأصول علىٰ منهاجهم أجمعين[٤].

هذا كلام ابن عساكر، وهذه عقيدة الأشعري إمام أهل السنة، أفيمكنك أن تنسب إليه التجسيم من لازم مذهبه؟!

وهذا كتاب الله تعالىٰ قد نصّ علىٰ الاستواء، فقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾ [البقرة: ٢٩]، وقال: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى

---

(١) تبيين كذب المفتري (٣٨٨). والصحيح أن نصوص الصفات تجرىٰ علىٰ ظاهرها ومعناها المتبادر منها، وما دلّت عليه من المعاني الصحيحة، وليس في هذا الظاهر تشبيه أو تجسيم، فليس فيما وصف الله به نفسه أو رسوله تشبيه. انظر: «الرسالة التدمرية» القاعدة الثالثة، و«الرسالة المدنية». [ع]

(٢) تبيين كذب المفتري (٣٨٩).

(٣) في الأصل: عينهم. والمثبت ما في «الإبانة».

(٤) تبيين كذب المفتري (٣٦٢).

ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وقال: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ﴾ [يونس: ٣]، وقال: ﴿ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ﴿٤﴾ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ [طه: ٤، ٥]، وقال: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴾ [الفرقان: ٥٩]، وقال: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [الحديد: ٤].

وقال أبو الحسن الأشعري محتجًّا على الجهمية بقوله تعالى حاكيًا عن فرعون قوله: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ﴾ [غافر: ٣٦، ٣٧]: لما قال موسى إنَّ الله فوق سماواته، أنكر فرعون ذلك، وقال ما قال[(١)]. نقل ذلك عنه في «الجيوش الإسلامية»[(٢)].

فالذين ينكرون ما جاء به القرآن الكريم من صفة الاستواء إنما حذَوا حذْوَ فرعون في التكذيب، وما أُرى صاحب «النفحة» إلا معتزليًّا يَتزيَّا بِزيِّ أهل السنة ليُروِّج مذهبهم، لكنه مُقلدٌ لهم غير مُتقنٍ لقواعدهم.

وأما الأحاديث الواردة في ذلك؛ فمنها قصة المعراج، وهي متواترةٌ، وأخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**يَقْبِضُ اللهُ الأَرْضَ**

(١) الإبانة: (١٠٦).
(٢) اجتماع الجيوش الإسلامية (١/ ٩٢).

يَوْمَ القِيَامَةِ، وَيَطْوِي السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ، وَيَقُولُ: أَنَا المَلِكُ! أَيْنَ مُلُوكُ الأَرْضِ!»[(١)]، إلىٰ غير ذلك من الأحاديث الواردة في الصِّحَاح، ومصداقُ هذا الحديث قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧]، وقال البخاري: قال أبو العالية: ﴿ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة: ٢٩]: ارتفع[(٢)].

قال العلاَّمة محمود العيني الحنفي في شرح البخاري: اختلف العلماء في معنىٰ الاستواء؛ فقالت المعتزلة: هو بمعنىٰ الاستيلاء والقهر والغلبة، كما في قول الشاعر:

قد استوىٰ بشرٌ علىٰ العراق ... من غيرِ سَيفٍ أو دمٍ مُهْرَاق

بمعنىٰ: قَهَر وغَلَب. وأنكر عليهم بأنه لا يُقال: (استولىٰ) إلا إذا لم يكن مستوليًا ثم استولىٰ، والله ﷻ لم يزلْ مستوليًا قاهرًا غالبًا. وقال أبو العالية: معنىٰ ﴿ٱسْتَوَىٰٓ﴾: ارتفع. وفيه نظرٌ[(٣)] لأنه لم يصف به نفسه[(٤)].

إلىٰ أن قال: والصحيح تفسير (استوىٰ) بمعنىٰ: علا علىٰ العرش، كما قاله مجاهد. قال: وهو المذهب الحق، وقول مُعظم أهل السُّنة؛ لأن الله ﷻ

---

(١) البخاري (رقم ٤٨١٢)، ومسلم (رقم٢٧٨٧).

(٢) كتاب التوحيد، باب: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ (٩/ ١٢٤).

(٣) والصحيح أن الاستواء صفة فعلية متعلقة بمشيئة الله تعالىٰ واختياره، كما دلّ عليه قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف:٥٤] فالاستواء علو خاص، فكل مستوٍ علىٰ شيء عالٍ عليه، ولا عكس، وقال ابن تيمية: فالأصل أن علوه علىٰ المخلوقات وصف لازم له، كما أن عظمته وكبرياءه وقدرته كذلك، وأما الاستواء فهو فعل يفعله سبحانه وتعالىٰ بمشيئته وقدرته، ولهذا قال فيه: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ﴾. «مجموع الفتاوىٰ» (٥/ ٥٢٣) وانظر (٥/ ٢٢٦). [ع]

(٤) عمدة القاري (٢٥/ ١١١).

وصف نفسه بالعلا. واختلف أهل السنة؛ هل الاستواء صفةُ ذاتٍ أو صفةُ فعلٍ؟ فمَن قال: معناه (علا) قال: هي صفة ذاتٍ. ومَن قال غير ذلك قال: هي صفة فِعلٍ[(١)]. هذا كلامه.

وحيث إن صاحب «النفحة» يدَّعي الانتساب للشيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه كان عليه أن يتصفَّح كتاب «الغنية»، فإنه يجدُ الشيخ أثريًّا بحتًا حنبليًّا، على مذهب السلف في الاعتقاد، فما أبشع ذلك العُقوق إن صحت النسبة!

ومَن كان في ريبٍ من ذلك فليُطالع كتاب «العلو للعلي العظيم» للحافظ الذهبي، وكتاب «الأسماء والصفات» للبيهقي، بل عليه بكتاب الله وسُنة نبيه ﷺ.

وإطالة البحث لا تليق بهذا المكان خوفًا من التشويش على العوام، لكننا نقول: روَى اللالكائي في «السُّنة» عن أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها أنها قالت في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]: الاستواء معلومٌ، والكَيْف مجهولٌ، والإيمان به واجبٌ، والسؤال عنه بدعةٌ، والبحث عنه كُفرٌ[(٢)].

أقول: مَن لم يطَّلع على كتاب «السنة» فليُراجع «شرح البخاري» للعيني في كتاب التوحيد؛ فإنه يجد ذلك مسطورًا.

وفي لفظٍ آخر أنها قالت: الكَيْف غير معقولٍ، والاستواء غير مجهولٍ، والإقرار به من الإيمان، والجحود به كُفرٌ[(٣)].

---

(١) عمدة القاري (٢٥/ ١١١ – ١١٢).

(٢) «شرح أصول الاعتقاد» (٣ / ٢٦٣ ) لكن لا يصح عن أم سلمة رضي الله عنها كما قاله الإمام الذهبي في «العلو» (١/ ٦٣١). وانظر: «مجموع الفتاوى» لابن تيمية (٥/ ٣٦٥).

(٣) شرح أصول الاعتقاد (٣/ ٤٤٠).

هذا، ومثل هذا القول من الصحابي لا يُقال مِن قِبَل الرَّأي، فيكون له حُكْم المرفوع.

وروىٰ يحيىٰ بن آدم (عن ابن عيينة)[١] قال: سُئل ربيعة الرأي -شيخ الإمام مالك- عن قوله تعالىٰ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]: كيف استوىٰ؟ فقال: الاستواء غير مجهولٍ، والكَيْف غير معقولٍ، ومِن الله الرسالة، وعلىٰ الرسول البلاغ، وعلينا التصديق[٢].

وروىٰ ابن عبد البر في «التمهيد»[٣] أنَّ مَالِكًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سُئل عن الاستواء فقال: استواؤُه معقولٌ، وكيفيته مجهولةٌ، وسُؤالك عن هذا بدعةٌ، وأراكَ رجلَ سوءٍ.

وسُئل الشعبي عن الاستواء فقال: هذا من مُتشابه القرآن؛ نؤمن به، ولا نتعرض لمعناه[٤].

وسُئل الإمام الشافعي أيضًا عنه قال: آمنت بلا تشبيهٍ، وصدّقت بلا تمثيلٍ، واتهمت نفسي في الإدراك، وأمسكت عن الخوْض غايةَ الإمساك[٥].

وسُئل الإمام أحمد أيضًا عن الاستواء فقال: استوىٰ كما ذكَر، لا كما يخطُر للبشر[٦].

---

(١) في الأصل: (عن أبيه وابن عينية) والمثبت من «شرح أصول الاعتقاد».
(٢) شرح أصول الاعتقاد (٣/ ٤٤١).
(٣) التمهيد (٧/ ١٣٨).
(٤) ذكره مرعي بن يوسف في «أقاويل الثقات» (١٢١) دون إسناد.
(٥) المرجع السابق.
(٦) المرجع السابق.

هذا، ومن استبرأ لدينه عَلِم أن مذهب الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين والأشعري وسائر المحققين يُثبتون آيات الصفات وما صح عن رسول الله ﷺ، ويقولون: نُؤمن بها، ولا نعلم حقيقتها، ولا نخوض فيها، وكما أن ذاته لا تُشبه الذوات كذلك صفاته لا تشبه الصفات. هذه هي العقيدة التي أجمع عليها الصحابة والتابعون، وأهل القرون الثلاثة، والأئمة المجتهدون، وأهل الحديث قاطبة، والصوفية المحققون، كابن عربي في فتوحاته[١] وغيره، وآخرهم الأمير عبد القادر الجزائري[٢] في كتابه «المواقف».

أولئك آبائي فَجِئْني بِمِثْلِهم إذا جَمَعَتْنا يا جريرُ المَجامِع[٣]

واعلم أن الحافظ ابن عساكر نادىٰ بالحق مِلءَ فِيهِ فقال: إننا - معاشر الأشاعرة - نذهب كإمامنا الأشعري مذهبَ السلف، ومتىٰ تكلمنا مع خصومنا ذهبنا مذهب التأويل؛ لإفحام الخصم لا للاعتقاد[٤]. كما رأيته بمعناه فيما تقدَّم[٥].

---

(١) انظر التعليق السابق عليه (ص ٥٣)، هامش (١).

(٢) عبد القادر الجزائري (ت ١٣٠٠هـ) من أمراء الجزائر، قاتل الفرنسيين إبان حملاتهم، صاحب شعر وتصوف، وله عدد من المصنفات. انظر: «الأعلام» للزركلي (٤/ ٤٥)، و«معجم المؤلفين» (٥/ ٣٠٤).

(٣) البيت للفرزدق في ديوانه (٢/ ٤٢).

(٤) تبيين كذب المفتري (٣٨٨).

(٥) والصحيح أن نصوص الصفات تجرىٰ علىٰ ظاهرها ومعناها المتبادر منه، وما دلّت عليه من المعاني الصحيحة، وليس في هذا الظاهر تشبيه أو تجسيم، فليس فيما وصف الله به نفسه أو رسوله تشبيه. انظر: «الرسالة التدمرية» القاعدة الثالثة، و«الرسالة المدنية». [ع]

ولما كان مذهب المعتزلة التَّأوُّل المحض وإنكار الصفات، وسَمَّوا أهل السنة بالتجسيم، ونكتوا عليهم في قولهم: «استوىٰ بلا كَيفٍ» بقولهم: فتستروا بالبَلْكَفَةِ[1]. وصاحب «النفحة» أخذته نزْغةٌ اعتزاليةٌ، فنسب إلىٰ مَن سمَّاهم وهابيةً ذلك.

واعلم - والحقُّ أحقُّ أن يُتبع - أنَّ أولئك القوم لما كانوا علىٰ غايةٍ من التمسك بالكتاب والسنة، وعلىٰ شدةٍ في إنكارِ المنكر، وكانوا فيما مضىٰ حاربوا بعض البلاد، قام أعداؤهم يَخْتلِقون لهم ما يَخْتَلِقه العدو لِعدوِّه، كما يظهر ذلك في كل زمانٍ، وأخذ أحباب الحق ينصفونهم؛ كالجبرتي وغيره، ثم اختلقوا لهم اسم «الوهابية»، ونسبوا إليهم ما يقوله الرِّعاع منهم أهل البداوة والجهل، فشاع ذلك فيما بين الناس، ثم اتسع المكابرون فأطلقوا اسم «الوهابية» علىٰ كل مَن خالف ما هو مركوزٌ في طِباعهم، فأطلقوا علىٰ الزَّنادقة هذا اللفظ كما أطلقوه علىٰ المُبْتدعة، وَاشْتبه الأمر حتىٰ عدُّوا مَن هو علىٰ مذهب السلف في الاعتقاد منهم.

ولو تركوا التعصُّب الذَّميم وأذعنوا للحق، لَعَلموا أنَّ القوم هم في الفروع علىٰ مذهب الإمام أحمد، وبه يحكمون ويُفْتون، وإلىٰ ما قاله يَرجعون، ولِكُتبِ مَذهبه وكُتب السلف يَطبَعون، وعليها يُنفقون الأموال الطائلة، مع أنهم ليسوا بأغنياء، وليسوا بأصحاب ثروةٍ، وأنهم في الاعتقاد علىٰ مذهب السلف، وتراهم يحفظون القرآن وأحاديث سيد المرسلين، وعندهم الأمانة في المعاملات والصدق والوفاء.

---

(١) معنىٰ البَلْكَفَة: نَحْتٌ من قولِ أهلِ السنة: (بِلا كيف) أو (بلا تكييف).

ومن كان في شكٍّ من ذلك فَلَيَسْبُر أحوالهم ومعاملاتهم في الأقطار، ولا سيما في دمشق ومصر والعراق والهند، وَلْيَسأل التجار عنهم[١] فإنهم أدرىٰ بأحوالهم، وهم يشهدون لهم بأنهم لا يُعاملون أحدًا بالربا، وهم أبعد خلْق الله عنه، ولا يعرفون الخيانة في معاملاتهم، ولا يكذبون، ويُخرِجون زكاة أموالهم، ولا يُؤخِّرون الصلاة عن أوقاتها، ويحافظون علىٰ ما افترضه الله عليهم، وهم أبعد خلْق الله عن البدع المستحدَثة، ويُنفِّرون الناس عنها بالشدة، وأما أفعال أمرائهم والدخول بتلك المضائق، فهذا لا دخل لي به ولا أنت.

وما أجمل ما قاله الإمام أحمد حيث قال لما سُئل عما حدث بين الصحابة *رضوان الله عليهم* أجمعين: هي أمورٌ طهَّر الله منها سيوفنا، فلنُطهِّر منها ألسنتنا[٢]!

فما لنا ولهذا المأزق الحَرِج الذي يُثير الفتنة، ويفتح علينا باب واقعة الحرّة المشهورة وما جرىٰ أيام بني أمية، وتكون أنت يا صاحب «النفحة» السببَ لأغراضٍ تافهةٍ تبْتغيها، ولمقاصد شخصيةٍ تترقَّبها، فاتَّق الله وكُنْ مع الحق، وأنا لك من الناصحين.

قال صاحب «النفحة» (في صحيفة ١٠، ١١) ما خلاصته: **أنَّ مَن كان فيه خَصْلة من الكفر لا يُكفَّر حتىٰ تُقام عليه الحجَّة.** إلىٰ أنْ قال: **والكفرُ لا يكون إلا بإنكار الضروريات.**

---

(١) انظر كتابنا: «دعوة أهل البدع»، وفيه قصة العلامة الشيخ أحمد بن عيسىٰ رَحِمَهُ اللَّهُ مع التاجر عبد القادر التلمساني. وانظرها في «علماء نجد خلال ثمانية قرون» (١/ ٤٣٨-٤٤٠).

(٢) تُروىٰ هذه المقولة بمعناها عن عمر بن عبد العزيز. ينظر: مناقب الشافعي للبيهقي (١/ ٤٤٩).

**نقول له:**

**أولًا**: لمَ كفَّرت أنت قومًا يبلغون الملايين من المسلمين بلا دليل ولا حجةٍ ولا برهانٍ؟! وهل أقمت عليهم الدليل بالإجماع القطعي؟! وهل أنت إمامٌ أو نائبُ الإمام؟! ومَن الذي أعطاك هذا المنصب وأقامك ذلك المقام؟!

**ثانيًا**: أرجوك أن تتأمل كلامك هنا بعد أن يهدأ رَوْعُك، ويرجع إليك فَهْمُك، وتكون خاليًا، وحينئذ تُنصف مِن نفسك، وتعلم أن كلامك يُناقض بعضه بعضًا، وتعلم أنك بنيت ذلك على التوسُّل، ومَن الذي يمنع منه[1] إذا كان على مُقتضى ما يقوله الأئمة رضوان الله عليهم؟! ثم تأمل أقوال السادة الحنفية والشافعية والمالكية فيما عليه أكثر الناس اليوم، واترك المُجازفة، فإني لا أراك بعد ذلك إلا أن تُنصف من نفسك، ثم تقرأ قوله تعالى: ﴿أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: ١٨].

وأما قولك: «**وبالجملة، فإن ابن عبد الوهاب وجماعته الذين تَمَذْهَبوا بمذهبه، دَيْدَنُهم تكفيرُ المسلمين الذين على كُرَةِ الأرض؛ لِتَوسُّلِهم بِجَاهِ نبيهم وغيره، ولتقليدهم الأئمة، ولزيارتهم لقبور الأنبياء والأولياء، حتى قبر رسول الله ﷺ**».

نقول لذلك الفاضل: مِن أين علمت أنهم يُكفّرون المسلمين؟! وفي أيِّ كتابٍ وجدت ذلك؟! فإن كان في «كَشْف الشبهات» فَحاصِله تكفيرُ من اعتقد أنَّ مخلوقًا يُشارك الله تعالى في صفاته وأفعاله، وحاشا أن يكون المسلمون في جميع أقطار الأرض يعتقدون ذلك، وأنت لا تُخالف في هذا، بل هو ثابتٌ في كلامك.

---

(١) يعني التوسل المشروع الذي دلّ عليه الكتاب والسنة النبوية الصحيحة.

**وأمَّا كوْنه صرَّح بكُفْرِ جميع المسلمين**، فهذا شيءٌ لم يَقُلْه أحدٌ، وأنت مطالَبٌ بالدليل، لكن بعد الهدوء والتأمل، ولا إخالك تظْفَر بذلك، والله أحكم الحاكمين.

**وأما كوْنه كفَّرهم لتقليدهم الأئمة**، فَأَظنُّك أخبرتَ عن قومٍ صوَّرْتَهم في مُخيِّلَتِك ليس لهم وجودٌ في الخارج! ألم نُنْبِئك بأن ابن عبد الوهاب له كتابٌ في الفقه لم يتجاوز به مذهب الإمام أحمد في مسألةٍ من المسائل؟! فكيف يكون مُقلدًا ويكفِّر المقلدين؟! وأخبرناك بأن الرجل ليس بمجتهدٍ، ولا ادّعىٰ الاجتهاد، فإن كُنت ترىٰ أن بعضًا من الناس ادَّعىٰ الاجتهاد، ثم سمَّيته وهابيًّا، فهذا اصطلاحٌ خاصٌّ بك، والقوم بَرَاءٌ مِن ذلك.

**وأما ما نَسبْته إلىٰ أَتْباع ابن عبد الوهاب مِن أنَّهم يُكفِّرون مَن كان مقلدًا**، فذلك أمرٌ وَهْميٌّ، كيف وهم ينفقون الأموال الطائلة علىٰ طبْع كتب الإمام أحمد ويجعلونها وقْفًا؟! وهي الآن بأيدي الناس، وهذا الأمير ابن سعود نفسه أمرَ بِطبعِ كتاب «المغني» -وهو أعْظم كتابٍ في الفقه- علىٰ نَفقته؛ ليجعله وقفًا، وهذا كتاب «الفروع» لابن مفلح، الذي جمع غالبَ أقوال أهل المذاهب، يُطبع الآن في مصر، فهل أحدٌ من مُقلِّدة المذاهب طَبع كتابًا في مذهبه وجعله وقفًا لِمَن ينتفع به، وفيهم من تُقاوم ثَروته رُبع ثروةِ أهل نجدٍ؟!

**وأمَّا أنهم يُكفِّرون بالزيارة**، فهذا كَذبٌ لا أصل له، ولم يُسطَّر في كتابِ أحدٍ منهم، ولا قاله عالمٌ من علمائهم. غايةُ الأمر أن مسألة شدِّ الرحْل مسألةٌ اجتهاديةٌ، تكلم بها العلماء من جميع المذاهب، مِن قَبْل أن يُخْلَق ابن عبد الوهاب وأتباعه بمئاتٍ من السنين، ومن كان في شكٍّ فليُراجع شروح

الصحيحين في حديث: «**لا تُشدُّ الرِّحَال**»[١]. فإنك ترىٰ العلماء مختلفين؛ منهم من قَصَر مَنْع الشدِّ علىٰ المساجد، ومنهم من قاسَ عليها زيارة القبور، والخلاف في ذلك حتىٰ قَبل ابن تيمية وابن القيم.

**وأما الزيارة** فإنها بمعزلٍ عن ذلك الخلاف، ولا سيَّما زيارة قبر الرسول ﷺ، فلا تظنَّ أن أحدًا يَدينُ بِدينِ الإسلام يقول: إنها مكروهةٌ، فضلًا عن أن يقول: إنها مُحرّمةٌ، وكتب الفقه تشهد بذلك.

**وأما المصطفىٰ** ﷺ فلا تظن أيضًا أن أحدًا من المسلمين علىٰ كُرة الأرض يهُمّ بتنقيصه أو ببغضه! كيف وفي مذهب الحنابلة أنَّ شاتم الرسول يُقتل؛ تاب أو لم يتب؟!

**وأما قولك: إنهم يُكفِّرون جميع المسلمين لزيارتهم الأنبياء والأولياء**، فإن هذا منك إما نوعٌ من المَالِيخُولْيَا[٢]، وإمَّا رِقَّة دينٍ تُريد أن تخدع بها أفكار العوام بالتمويه لتحصل علىٰ جلْب مالٍ، أو علىٰ لُقمةٍ تأكلها وقت العشاء، وما أظن أن أحدًا عنده نوعٌ من الإدراك إلا ويفهم مقاصدك، وينتبه لها، اللهم إلا من كان بحيث لا يفهم ما يقول ولا ما يُقال، فإنها ضربٌ من المُحال.

ثم قال: **وقد أخبر رسول الله** ﷺ **عن هؤلاء الخوارج في أحاديث كثيرة، فكانت من أعلام نبوته؛ منها قوله** عليه الصلاة والسلام: «**الفتنةُ مِن هاهنا، الفتنة من هاهنا**» **وأشار إلىٰ المَشرِق**[٣]. **وقوله أيضًا: «يخرج ناسٌ من قِبَل**[٤] **المشرق يقرءون**

---

(١) البخاري (رقم ١١٨٩)، ومسلم (رقم ١٣٩٧).

(٢) هي الفلسفة السوداوية، حالة عقلية تعتبر أول مراحل الجنون، يتميّز المصاب بها بالانطواء والشعور بالدونية واحتقار الذات والقلق.

(٣) البخاري (رقم ٧٠٩٣)، ومسلم (رقم ٢٩٠٥).

(٤) في الأصل: «قبلي».

**القرآن، لا يجاوز تَراقيهم، يَمْرقون مِن الدين كما يَمْرق السهم من الرمية، لا يعودون فيه حتىٰ يعود السهم إلىٰ فُوقِه، سِيمَاهم التحليق»**[(١)]، **وفي روايةٍ: «هم شرُّ الخليقة، طُوبىٰ لمن قتلهم وقتلوه، يدعون إلىٰ كتاب الله تعالىٰ وليسوا منه في شيءٍ»**[(٢)].

**أقول:** ادَّعيت - فيما سبق - أن ابن عبد الوهاب عَمدَ إلىٰ آياتٍ نزلت في حقِّ المشركين فحوَّلها إلىٰ غيرهم، ثم لم تلبثْ أن وقعت في مثل ما عبتَ به، وذلك لوجوهٍ:

**أولها:** أنك أخذت من إشارته ﷺ إلىٰ المشرق أنه أشار إلىٰ نجدٍ، والنبي ﷺ لما أشار تلك الإشارة كان بالمدينة، وليست نجدٌ شرقي المدينة، وإنما هي إلىٰ الجنوب منها، وإنما الذي يسامتها إلىٰ الشرق العراق[(٣)]، ولا يخفاك ما وقع في العراق من الفتن التي مبدؤها الحروب بين علي رضي الله عنه ومَنْ ناوأه، ثم واقعة الحسين بن علي رضي الله عنه، إلىٰ غير ذلك مما لا أُريد أن أعدّه فأُثير علىٰ الناس حزنًا، فإن هذا يهمني، وإن كان لا يهمك.

**ثانيها:** أن الشرق اسم عام نهايته مطلع الشمس، وقد ظهر فيه فتن كثيرة؛ كفتنة جنكيز خان وهولاكو ومَن بعده من التتار، واستطال الأمر، وقُتِلَت الأُلوف المؤلَّفة من المسلمين، كما يعلم ذلك من له اطلاعٌ علىٰ التاريخ، فما الذي حملك علىٰ أن تخصّه بأولئك المساكين الذين يضربون في الأرض ليُحَصِّلوا قوتهم من حلالٍ.

---

(١) البخاري (رقم ٧٥٦٢).

(٢) أبو داود (رقم ٤٧٦٥) وصححه الألباني رحمه الله.

(٣) انظر: رسالة «أكمل البيان في شرح حديث: نجد قرن الشيطان» لحكيم محمد أشرف سندهور، وكتاب «دعاوىٰ المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب» (ص١٨٦-١٩٢).

**فإن قلت**: إنهم احتلوا المدينة، وفعلوا وفعلوا.

**أقول لك**: إذا سبرت الصحيح وتخليت عن التشفِّي، رأيت أن ما فعلوه أقل مما فعله صاحبك إبراهيم باشا في سورية وغيرها من البلدان، ولعل أحد أجدادك كان جنديًّا مع طوسون باشا فقُتل في حروبه، فنقمت على أولئك القوم، كما نقم عليهم السيد دحلان زاعمًا أنهم قتلوا جدّه! فاتق الله يا هذا.

**ثالثها**: أن الشرق يومئذٍ كان مسكن الأديان المتباينة، كالمجوس وغيرهم، ولمَّا فُتِح اندسَّ كثير من الزنادقة بين المسلمين وأظهروا الإسلام، واخترعوا الأحاديث الموضوعة وخلطوها بالأحاديث الصحيحة، وأسسوا من البدع التي تسعىٰ في إحيائها ما زلنا نتعب في مناهضتها إلىٰ اليوم وإلىٰ ما بعده، وأَظمأَ علماء الحديث نهارهم وأَسْهروا لَيلهم حتىٰ انتشلوا تلك الموضوعات كما تنسل الشعرة من العجين.

ولعلّ هذا الذي دعاك إلىٰ الانتقام، فانتبه - رحمك الله - ولا تكن ممن تحلو في ذَوْقه البدع، وسر مع الحق كيفما سار، فسُنَّة نبيك أَوْلىٰ من الابتداع، وكن صالحًا حقًّا؛ فإن زمنك محتاجٌ إلىٰ المرشدين المخلصين، وإذا رأيت قومًا مالوا فادعهم إلىٰ سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة، واترك التشفي جانبًا، فإنه ليس من أخلاق العلماء.

والعجب ممن يرىٰ مسلمًا قد تزيّا في لباسه بزي المشركين، فيقيم عليه النكير ويكفِّره، ثم إذا رآه يفعل أفعال المشركين يملأ الأرض صراخًا بالمدافعة عنه ويحسّن أفعاله، وتارةً يحمل كلامه علىٰ المجاز العقلي، في الوقت الذي يكون فيه المدافع لا يفهم شروط ذلك المجاز، فضلًا عن العامي، فانتبه! والله يتولىٰ هُداك.

وأما حديث: «**يخرج ناس من قِبَل المشرق...**» إلخ، فأنت أطلقته بلا زِمامٍ ولا خطامٍ، ولعلّك وجدته مسطورًا في كُتب دحلان التي انتحلتها وسميتها باسمك، وأيًّا ما كان، فإن المشرق مبهم فيما نقلته، ويفسره ما رواه البخاري في الصحيح، قال:

حدثنا موسىٰ بن إسماعيل، حدثنا عبد الواحد، حدثنا الشيباني، حدثنا يسير بن عمرو قال: قلت لسهل بن حنيف: هل سمعت النبي ﷺ يقول في الخوارج شيئًا؟ قال: سمعته يقول، وأهوىٰ بيده قِبَل العراق: «**يخرج منه قوم يقرؤون القرآن، لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الإسلام مروق السهم من الرمية**»(١).

وهذا الحديث أخرجه مسلمٌ في الزكاة، والنسائي في فضائل القرآن(٢).

ومنه تعلم أن الحديث في الخوارج الذين قاتلهم عليٌّ رضي الله عنه يوم النهروان، لا في أهل نجدٍ.

وفي رواية للبخاري: «**يخرج في هذه الأمة**» ولم يقل (منها)(٣).

وفي رواية للبخاري: قال أبو سعيد: أشهد أن عليًّا قتلهم، وأنا معه(٤).

وذلك يؤيد أنهم هم الخوارج الذين قالوا: كَفَر عليٌّ وكفر معاوية. فدعنا من أشياء مفروغٍ منها، وقد تكلّم عليها مَن قبلنا بما يكفي ويشفي.

---

(١) البخاري (رقم ٦٩٣٤).
(٢) مسلم (رقم ١٠٦٨)، والنسائي في السنن الكبرىٰ (رقم ٨٠٣٦).
(٣) البخاري (رقم ٦٩٣١).
(٤) البخاري (رقم ٦٩٣٣).

وأما حديث: «**اللهم بارك لنا في شامنا...**» إلخ، فأنا أدلك علَىٰ مَن أخرجه.

أخرجه الترمذي[١] فقال: حدثنا بشر بن آدم بن بنت أزهر السمان، حدثني جدي أزهر السمان، عن ابن عون، عن نافع، عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «**اللهم بارك لنا في شامنا، اللهم بارك لنا في يَمَننا**»، قالوا: وفي نجدنا! قال: «**اللهم بارك لنا في شامنا، وبارك لنا في يَمَننا**»، قالوا: وفي نجدنا! قال: «**هناك الزلازل والفتن وبها** -أو قال: **ومنها- يخرج قرن الشيطان**»، قال الترمذي: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ غريبٌ مِن هذا الوجه، من حديث ابن عون، وقد رُوِي هذا الحديث أيضًا عن سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه عن النبي ﷺ. اهـ.

**أقول**: بشر بن آدم قال أبو حاتم: ليس بقويٍّ[٢]. وقال النسائي: لا بأس به[٣]. وذكره ابن حبان في كتاب «الثقات»[٤]. وباقي رجاله ثقاتٌ[٥].

وأدلُّك أيضًا علىٰ معنىٰ الحديث، وأقول لك: لا تفسر الأحاديث إلا علىٰ مصطلح العرب زمن النبوة، فقد نقل العيني عن الكلبي في أسماء البلدان، قال: نجد ما بين الحجاز إلىٰ الشام إلىٰ العذيب إلىٰ الطائف، فالطائف من نجدٍ، وأرض اليمامة والبحرين إلىٰ عمان. وقال أبوعمرو الشيباني: نجد ما بين جرش إلىٰ سواد الكوفة، وحدّه مما يَلي المغربَ الحجازُ، وعن يسار الكعبة اليمن، ونجدٌ كلها من عَمَل اليمامة. وقال ابن الأثير: نجد بين العذيب إلىٰ ذات عِرق وإلىٰ اليمامة وإلىٰ جبل طيء وإلىٰ وجرة وإلىٰ اليمن. والمدينة

---

(١) جامع الترمذي (رقم ٣٩٥٣)، والحديث أخرجه البخاري (رقم ٧٠٩٤).
(٢) الجرح والتعديل (٢/ ٣٥١).
(٣) مشيخة النسائي (٤٧) ولفظه: صالح.
(٤) الثقات (٨/ ١٤٢).
(٥) لا حاجة للكلام علىٰ رواته؛ فقد أخرجه البخاري كما مر.

لا تهامية ولا نجدية، فإنها فوق الغور، ودون نجدٍ. وقال الحازمي: نجدٌ اسمٌ للأرض العريضة التي أعلامها تهامة واليمن والعراق والشام. وقال البكري[١]: حدُّ نجدٍ ذَاتُ عِرْقٍ من ناحية الحجاز، كما تدور الجبال معها إلىٰ جبال المدينة، وما وراء ذلك ذات عِرق إلىٰ تهامة. وقال الخطابي: نجد ناحية المشرق، ومن كان بالمدينة كان نجده بادية العراق ونواحيها، وهي مشرق أهلها[٢].

فقد أعلمناك اختلاف العلماء في نجدٍ.

وحيث إن النبي ﷺ تكلم بذلك وهو بالمدينة، ومشرق أهلها ونجدها بادية العراق، كما قاله أبو سليمان الخطابي، فيكون المقصود من الحديث بادية العراق، ولا يخفاك ما حصل بها من الزلازل والفتن، كواقعة صِفِّين وغيرها، وكواقعة الحسين بن عليٍّ رضي الله عنهما، وما كان بها من الفتن والحروب بعد ذلك.

وعلىٰ قول الكلبي أن الطائف من نجدٍ، فيكفيك أنه خرج منها الحجاج بن يوسف الثقفي، وما فعل، وكيف رمىٰ الكعبة بالمنجنيق! وكان أَمْر الحجاج معروفًا قبل وجوده.

فروىٰ ابن عساكر أن عليًّا رضي الله عنه لمَّا انتقض عليه أمر العراق كان يقول: اللهم سلط عليهم غلام ثقيف، يحكم في دمائهم وأموالهم، ويحكم فيهم بحكم الجاهلية[٣]. وأخباره معلومةٌ.

---

(١) في الأصل: السكري.
(٢) ينظر: عمدة القاري (٢/ ٢١٨).
(٣) تاريخ دمشق (١٢/ ١٦٨).

وروىٰ مسلمٌ والترمذي عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «**في ثقيف كذابٌ ومبيرٌ**»(١).

وله في تاريخ ابن عساكر ترجمةٌ مُطولةٌ فيها العجائب(٢).

فمن أين لك اختصاص الحديث فيما صَوَّرتهُ لك مخيلتك من جغرافية نجد؟!

وقلت لك مرارًا: دعنا من الطعن والعناد؛ حتىٰ لا يفتح الناس علينا أبوابًا من تاريخنا الماضي لا نقدر علىٰ تغليقه، وإذا ذكَّرونا بواقعة الحَرَّة ما يكون جوابنا! فإن أجهل الناس من ينسىٰ عيوب نفسه، ويقع في عِرض غيره.

ثم بعد هذا وهذا قل لي: ما تقول في الحديث الصحيح عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال: «**إن الشيطان قد يئس أن يُعْبَد في جزيرة العرب**»(٣) ونجدٌ مِن تلك الجزيرة؟! ولكن اتباع الهوىٰ من أكبر البلوىٰ، ولا أشد ضررًا علىٰ الإنسان من مَيله إلىٰ الهوىٰ واتِّباعه.

وقد روىٰ الإمام أحمد في المسند عن أبي الدرداء قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ نتذاكر ما يكون، إذ قال رسول الله ﷺ: «**إذا سمعتم بجبلٍ زال عن مكانه فصدِّقوا، وإذا سمعتم برجلٍ تغيَّر عن خلقه فلا تُصدِّقوا به، وإنه يصير إلىٰ ما جُبِلَ عليه**»(٤).

---

(١) مسلم (رقم ٢٥٤٥)، والترمذي (رقم ٢٢٢٠).
(٢) تاريخ دمشق (١٢/ ١١٣ - ٢٠٢).
(٣) مسلم (رقم ١٨١٢).
(٤) المسند (٤٥/ ٤٩١ رقم ٢٧٤٩٩).

**أما ما ذكرته من التحليق** فذاك «كلام خرافةٍ يا أم عمرو»[١]!

قال في «النفحة»: **ومن الأحاديث قوله** عليه الصلاة والسلام: «**يخرج آخر الزمان في بلد مسيلمة رجلٌ يُغيِّر دين الإسلام**»، **وقوله** ﷺ: «**سيظهر من نجدٍ شيطانٌ تتزلزل له جزيرة العرب من فتنته**»، **إلىٰ غير ذلك من الأحاديث التي ذكرتها العلماء**.

**أقول**: سَلَّمْنا أنك اجترأت علىٰ القوم، ونسبت إليهم من الإفك ما نسبت، ولكن هل بلغ بك الحال أن تكذب علىٰ رسول الله ﷺ بعد علمك بقوله: «**مَنْ كذب عليَّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار**»[٢]، وهذا الحديث أجمع المسلمون علىٰ صِحَّته وتواتره.

وقال النووي في «شرح مسلم»: «تحرم رواية الحديث الموضوع علىٰ مَن عرف كونه موضوعًا، أو غلب علىٰ ظنِّه وضْعه، فمن روىٰ حديثًا علم وضعه فهو مندرجٌ في الوعيد»[٣].

وقال السيوطي: «لا أعلم شيئًا من الكبائر قال أحدٌ من أهلِ السنةِ بتكفير مُرْتَكِبه إلا الكذب علىٰ رسول الله ﷺ. وقال الجويني: نخرجه بذلك عن الملة. وتبعه علىٰ ذلك طائفةٌ، منهم ابن المنير المالكي»[٤].

---

(١) انظر: الرد علىٰ هذه الفرية في كتاب «صيانة الإنسان عن وسوسة دحلان» للسهسواني (ص٥٢٩، ٥٣٠)، وكتاب «دعاوىٰ المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب» (ص١٨٤، ١٩٠).

(٢) البخاري (رقم ١٢٩١) من حديث المغيرة، ومسلم (رقم٣) من حديث أبي هريرة.

(٣) شرح النووي علىٰ صحيح مسلم (١/ ٧١).

(٤) تحذير الخواص من أحاديث القصاص (ص٦٤-٦٥).

وكان عليك أن تذكر مَن روىٰ تلك الأحاديث، وتبيّن من خرّجها من الأئمة، وفي أي كتابٍ موثوقٍ به وجدت، ومَنْ روىٰ هذه الأحاديث من الصحابة، علىٰ أننا قد بيَّنا لك ما هو المقصود من نجدٍ، فقل ما شئت بعد ذلك -سامحك الله-، وليكن خصمك من افتريت عليه، وسمّ ما شئت إجماعًا، وهوّل ما شاءت لك نفسك أن تُهوِّل.

قال: «**ويجدر بنا أن نذكر هنا خلاصة ما تمذهبت به الوهابية التي اشتملت عليه عقيدتهم عشرة أشياء: أولها: إثبات اليد والوجه والجهة للباري، وجعْله جِسمًا يصعد وينزل**».

هذا أعظم ما تمسَّك به ذلك المعترض، وقد علمت فيما سبق عقيدة السلف؛ فالوهابية لم يثبتوا ذلك، وإنما أثبته الله تعالىٰ لنفسه، غاية الأمر أن الوهابية كغيرهم من السلف يؤمنون بذلك، ويَكِلُون عِلْمَه إلىٰ الله تعالىٰ من غير تشبيهٍ ولا تمثيلٍ ولا تعطيلٍ، وبذلك نَطَقَتْ كتب عقائدهم، ولقد كانت المعتزلة ترمي أهل السُّنَّة بأنهم مجسِّمة، وذلك مسطورٌ في كتبهم، وصاحبنا سلك هذا المسلك، فإذا كان المؤلف يُنكر إثبات تلك الصفات لله تعالىٰ فَلينكر علىٰ مَن أثبتها، وأما الجسمية فمُحال أن يعتقدها مسلم، ومن ادَّعاها لأُمةٍ مسلمةٍ فعليه أن يبرهن عليها بنقلٍ من كُتبهم لا بمجرد الإفك والافتراء.

قال: «**ثانيها: تقديم النقل علىٰ العقل، وعدم جواز الرجوع إليه في الأمور الدينية**».

**أقول**: لا يُعلم من معنىٰ النقل إلا ما نقل من كتاب الله وسُنة رسوله، فأي ذنب لقومٍ يقدِّمون كتاب الله وسنة رسوله علىٰ الرأي الفاسد؟! وخصوصًا في معرفة الله تعالىٰ وإثبات صفاته التي يظل العقل حائرًا فيها، كما حار الفلاسفة الأقدمون والقرامطة!

ولو سلَّمنا أن مراده بالنقل ما يُنْقَل عن كتب الأئمة، فكذلك العقل لا يقدَّم على النقل عنهم، ولعلَّ المؤلف أدَّاه اجتهاده إلىٰ تقديم العقل علىٰ كتاب الله وسنة رسوله وأقوال الصحابة والأئمة الكرام، فحينئذٍ يكون اجتهاده له، ولا نظن أن أحدًا من علماء المذاهب يُوافقه علىٰ ما أدَّاه إليه اجتهاده، ولو كانت الشرائع تُدْرَك بالعقل لَمَا أرسل الله الرُّسل وأنزل الكتب، ولعلَّ صاحبنا ينصر مذهب البراهمة المنكرين للنبوات!

وأما قولك: **إنه حَظَرَ علىٰ الناس استعمال العقل**، ثم هوَّلت بما هوَّلت به، فإن الرجل لا كلام له إلا في التوحيد، ولا تَطَرَّقَ إلىٰ ذكر أسرار الشريعة، بل لزم الأدب مع غيره من كبار أئمة الإسلام، ومَنِ ادَّعىٰ غير ذلك فهو مطالبٌ بالبيان.

قال: «**ثالثها: نفي الإجماع وإنكاره**».

**أقول**: إنْ كان مُرادك بالإجماع الذي ينكره هؤلاء إجماع العوام، وما أنت وَهُم عليه الآن، فهذا باطلٌ من وجوهٍ:

**أولها**: أنه لا عبرة بإجماع العوام، علىٰ فرضِ وُقوعِه.

**ثانيها**: أن العوام كلهم لا يوافقونك علىٰ ما لفَّقته وادَّعيته.

**ثالثها**: أن عقيدة العوام إذا سَبَرْناها ودقَّقناها نجد أكثرها كما قال الله تعالىٰ: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: ٣٠].

وإن أردت بالإجماعِ الإجماعَ المعروفَ في فنِّ الأصول، فالبحث عنه وظيفةُ المجتهد، وهم لم يدَّعوا الاجتهاد.

فإن قلت: إن علماءهم أنكروه.

**قلنا**: هذه كتب أصول الفقه بين أيدي الناس، فأخبرنا في أيِّ كتابٍ صرَّحَ واحد منهم بِنَفي الإجماع، ثم ائتنا بمسألةٍ واحدةٍ خالفوا فيها الإجماع، أو بمثالٍ واحدٍ تثبت به ما ادعيته.

قال: «**رابعًا: نفي القياس**».

**أقول**: هذه كالتي قبلها. فنقول له: إذا أردت به نفي قياس الخالق علىٰ المخلوق، وهو الذي يلوح من خلال كلامك، فهذا ينكره كل مسلمٍ، بل وكل عاقلٍ علىٰ كرة الأرض، ونسبتك إنكار ذلك إلىٰ القوم مدحٌ لا يُقابله مدحٌ، قال تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ: ١١].

وإن أردت به القياس الأصولي الذي هو إلحاق فرعٍ بأصلٍ بعلَّةٍ جامعةٍ، فهذا أيضًا وظيفة المجتهد، والمقلد معزولٌ عن هذه المباحث بالكلية، لا حظَّ له إلا الأخذ بِقوْل مَن قلَّده، ولا يطالَب ببرهانٍ ولا بدليلٍ.

وإنْ كُنت مُدَّعيًا الاجتهاد، فخاطب بالإجماع وبالقياس المجتهدين لا العامة الذين ليست هذه المناقشات من وظيفتهم، ولا هم مطالبون بها، ولله درُّك حيث أنزلت أولئك القوم منزلة المجتهدين، ثم أخذتَ تناقشهم، فلك الفضل في ذلك، لكن أثبت أولًا تَوفُّر شروط الاجتهاد فيك ثم تكلَّم؛ لأن المحققين قالوا: لا يناظر مجتهدًا إلا مجتهدٌ مثله.

قال: «**خامسًا: عدم تقليد المجتهدين وتكفير من قلَّدهم**».

**أقول**: إن أردتَ بذلك أنهم ينكرون تقليد أمثالك من المجتهدين، فهذا يمكن أن يُنسَب إليهم، وإن أردتَ أنهم يُنكرون تقليد المجتهدين حقيقةً، فهذه بلادهم من أقصاها إلىٰ أدناها، لا يحكم قضاتهم ولا أمراؤهم إلا بمذهب

الإمام أحمد رضي الله عنه لا يتعدَّونه قَيْد شبر، ولا قانونًا عندهم ولا نظامًا[١] غيره، وهم يقيمون الحدود طبق الشرع، وكلهم يصلون ويزكون ويحجون، ويحفظون القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة من سُنة سيد المرسلين، وإذا سَبرتَ مشارق الأرض ومغاربها لا تجد عملًا بالشرع في الأحكام باقيًا على حاله من جميع الوجوه إلا في بلادهم، فكيف يكفِّرون أنفسهم وهم مقلدون؟! وإن أردتَ التقليد في العقائد، فهذا محل خلافٍ، وأنا أَدلُّك على «شرح الجوهرة» فراجعه[٢]، فليتق الله المصلحون!

قال: «**سادسًا: تكفيرهم كل مَن خالفهم من المسلمين**».

هذه دعوى بلا دليلٍ ولا برهانٍ أيضًا، ومغالطةٌ، ولو دقَّق النظر لعلم أنهم لا يكفرون أحدًا من المسلمين، ولكنهم يشددون النكير على مَن جعل إلهه هَواهُ واطَّرح كتاب الله وسنة رسوله ظِهريًّا، وينكرون بِدعًا لم تكن زمن الصحابة ولا زمن التابعين والأئمة *رضوان الله عليهم*، ويقولون: إن مثل هذا شركٌ، ويُحذرون الناس منه. وهذه المزية ليست لهم فقط، بل هي لكل مؤمنٍ يحافظ على شريعة نبيه ﷺ، وتلك الفئة تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، وبما جاء من عند الله وصَحَّ عن رسول الله ﷺ من غير تأويلٍ ولا تحريفٍ ولا تبديلٍ ولا تشبيهٍ، وهذا يجب على كل مسلمٍ أن يعتقده، ولا شك أن كلَّ من حادَ عن هذا المعتقد لا يُعدّ مسلمًا، فهل تريد أنت أن تخالف في ذلك؟! فالله يتولى هُدانا أجمعين.

---

(١) كذا والوجه: ولا قانون عندهم ولا نظامَ.

(٢) لعل مقصوده «شرح جوهرة التوحيد» للبيجوري الأشعري، حيث حكى الخلاف في التقليد في العقائد (ص٢١-٢٢). [ع]

قال: «**سابعًا: النهي عن التوسل إلىٰ الله تعالىٰ بنبيٍّ أو وَليٍّ**».

**أقول**: هذه المسألة أُلِّفت فيها التآليف مِن قَبلِك من الجانبين وفُرِغ منها، ولكن جَرّد عن مخيلتك أقوامًا توهمت أنهم وهابية وأَذْعِن للحق حتىٰ أقول لك: إن محبة الرسول ﷺ لا تكون إلا باتباع سنته، وعلماء أولئك القوم مرَّنوا أنفسهم علىٰ ذلك، فلا يقنعون إلا بما قاله الله تعالىٰ أو قاله رسوله ﷺ، وهذا هو تمام المحبة.

وفي الصحيح: أن الناس أجْدَبوا علىٰ عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه فاستسقىٰ بالعباس[1].

واستسقىٰ معاوية بيزيد بن الأسود[2].

وأخرج البخاري في المناقب من صحيحه عن أنس رضي الله عنه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: كانوا إذا قَحَطُوا استسقىٰ بالعباس بن عبد المطلب، فقال: اللهم كُنّا نتوسل إليك بنبيّنا ﷺ فتسقينا، وإنَّا نتوسل إليك بعمِّ نبيّنا فاسقنا. قال: فيُسقَون[3]. انتهىٰ.

قال المحققون -ومنهم الشيخ مرعي الكرمي في «شفاء الصدور»-: المراد أنهم توسلوا بدعاء العباس وشفاعته، وليس المراد أننا نُقسم عليك به[4].

---

(١) البخاري (رقم ١٠١٠).
(٢) تاريخ أبي زرعة الدمشقي (٦٠٢).
(٣) البخاري (رقم ١٠١٠).
(٤) شفاء الصدور في زيارة المشاهد والقبور (ص ٢١٦ وما بعدها).

وقد أشار إلىٰ نحو هذا العيني والقسطلاني في شرح البخاري[١]، وإلىٰ أن عمر قدَّم العباس رضي الله عنهما علىٰ نفسه في الدعاء، وأن العباس كان هو الداعي.

وأما حديث: «إذا سألتم الله فاسألوه بجاهي؛ فإن جاهي عند الله عريضٌ» فهو حديثٌ كَذِبٌ مُفترىً علىٰ رسول الله ﷺ.

ثم إنني أنقل لك بعضًا من كلام علماء الحنابلة في كُتب فقههم:

قال ابن مفلح في كتابه «الفروع»: ويجوز التوسل بصالحٍ. وقِيل: يُستحب. قال أحمد رضي الله عنه في مَنْسَكه الذي كتبه للمروزي: أنه يتوسل بالنبي ﷺ في دعائه. وجزم به في «المستوعب» وغيره، وجعلها شيخنا (يعني شيخ الإسلام ابن تيمية) كمسألة اليمين به، قال: والتوسل بالإيمان به وطاعته ومحبَّته والصلاة والسلام عليه ﷺ وبدعائه وشفاعته ونحوه مما هو مِن فِعْله أو أفعال العباد المأمور بها في حقه - مشروعٌ إجماعًا، وهو من الوسيلة المأمور بها في قوله تعالىٰ: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: ٣٥]، وقال الإمام أحمد وغيره في قوله: «**أعوذ بكلمات الله التامة من شر ما خلق**»[٢]: الاستعاذة لا تكون بمخلوقٍ. وقال إبراهيم الحربيُّ (من أصحاب أحمد): الدعاء عند قبر معروفٍ[٣] الترياق المجرب. وقال شيخنا (يعني ابن تيمية): قصدُه للدعاء عنده رجاءَ الإجابة بدعةٌ لا قُربة باتفاق الأئمة. وقال أيضًا: يحرم بلا نزاع بين الأئمة[٤].

---

(١) عمدة القاري (٧/ ٣٢) إرشاد الساري (٦/ ١٢٠).
(٢) مسلم (رقم ٢٧٠٨).
(٣) هو معروف الكرخي.
(٤) الفروع (٣/ ٢٢٩).

وقال أبو الوفاء علي بن عقيل البغدادي في كتاب «الفنون»: لا تُخَلَّق القبور بالخَلُوق والتزويق والتقبيل لها والتوسل بهم إلىٰ الله. قال: ولا يكفيهم ذلك حتىٰ يقولوا بالسر الذي بينك وبين الله، وأيّ شيءٍ من الله يسمَّىٰ سرًّا بينه وبين خلقه! قال: ويُكره استعمال النيران والتبخير بالعود والأبنية الشاهقة الباب[١] سموا ذلك مشهدًا، واستشفعوا بالتربة من الأسقام، وكتبوا إلىٰ التربة الرقاع، ودسوها في الأنقاب، فهذا يقول: جِمالي قد جَرَبَت! وهذا يقول: أرضي قد أجدبت! كأنهم يخاطبون حيًّا ويدعون إلهًا[٢]. انتهىٰ.

وابن عقيل تُوفي سنة ثلاث عشرة وخمسمائةٍ؛ فهل تقول عنه: كان وهابيًّا؟!

وقال في «المنتهىٰ»: وَيُسنُّ التوسل بالصالحين[٣].

وقال في «الإقناع»: ولا بأس بالتوسل بالصالحين[٤].

وقال أبوعبد الله محمد الرُّعَيني المعروف بالحطاب المالكي في شرحه لـ«مختصر خليل»: قال مالك: أنكر أبو مسلمة علىٰ رجلٍ رآه قائمًا عند المنبر رفع صوته بالدعاء ورفع يديه. قال ابن رشد: إنما أنكرَ الكثير منه لأنه فعل اليهود[٥].

هذه نُقول علماء تلك الفئة التي تزعم أنهم يَنهَون عن التوسل، فتأملها ثم قل ما شئت.

---

(١) غير واضحة في الأصل.
(٢) نقله عنه ابن مفلح في الفروع (٣ / ٢٤١ ) وابن منصور صاحب فتح الحميد (٩٠٨).
(٣) منتهىٰ الإرادات (١/ ٣٧٧).
(٤) الإقناع (١/ ٢٠٨).
(٥) مواهب الجليل شرح مختصر خليل (٢/ ٢٠٧).

قال: «**ثامنها: تحريم زيارة قبور الأنبياء والصالحين**».

أنا لا أطيل معك الكلام في هذا الموضوع، ولكن أُحِيلك إلىٰ كتب السادة الحنفية[١] هل تجد فيها أن البدع الموجودة اليوم في الزيارة يجيزها أحدٌ منهم؟

وأما مُطلق الزيارة، فما سمعنا أن أحدًا حرَّمها، غير أناسٍ وُجِدوا في مخيلتك وليس لهم وجودٌ في الخارج، فإن كنت تجيز الحكم علىٰ المعدوم فقل ما شئت.

قال: «**تاسعها: تكفير من حلف بغير الله وعدُّه مشركًا**».

**أقول**: اتفق العلماء علىٰ أنه لا يجوز الحلف إلا بالله أو بصفة من صفاته.

وفي الصحيحين عن ابن عمر أن النبي ﷺ سمع عمر رضي الله عنه وهو يحلف بأبيه، فقال: «**إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، فمن كان حالفًا فليحلف بالله**»[٢].

وقال الترمذي في «جامعه»: حدثنا قتيبة، حدثنا أبو خالد الأحمر، عن الحسن بن عبيد الله، عن سعد بن عبيدة، أن ابن عمر سمع رجلًا يقول: لا والكعبة! فقال ابن عمر: لا يُحْلَف بغير الله؛ فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَنْ حَلَفَ بغير الله فقد كفر أو أشرك**»[٣]. قال الترمذي: هذا حديثٌ حسنٌ.

فانظر يا صاحب «النفحة» علىٰ مَنْ تعترض!

---

(١) انظر: رسالة «جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية» للشمس الأفغاني رحمه الله، ففيها ما لا تجده مجموعًا في غيرها.

(٢) البخاري (رقم ٦١٠٨)، ومسلم (رقم ١٦٤٦).

(٣) الترمذي (رقم ١٥٣٥).

فإن قلتَ: حَمَله بعض العلماء علىٰ التغليظ.

**قلنا**: واحمل قول من تردّ عليهم علىٰ التغليظ، وهناك يرتفع النزاع[(١)].

والظاهر أن هذا الرجل مِن بعض الفِرَق الذين يُجوّزون وضعَ الأحاديث نُصرةً لمقالتهم، ومن الذين يحرِّفون القرآن حسب مشتهياتهم وأغراضهم، ويسمونه تأويلًا؛ ليقضوا علىٰ كتاب الله وسنة رسوله ﷺ كما ظهر لك مما تقدم، وكما يظهر لك من قوله.

قال: «**عاشرًا: تكفير من نذَر أو ذبح لغير الله عند مراقد الصالحين**».

هذا افتراءٌ من جهةٍ، واجتهادٌ جديدٌ منه، غير أنه مُصادم لقوله تعالىٰ: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ الآية [المائدة: ٣]، فالله تعالىٰ حرَّم ما أهلَّ لغيره به، ولم يخصص ذلك بمراقد الصالحين ولا بغيرهم، وقد عدّ هذا الفاضل تحريم ذبح ما أُهلَّ به لغير الله ذنبًا، وعلىٰ مقتضىٰ اجتهاده أن ذلك قُرْبةٌ، فخالف الكتاب والسنة والإجماع، وكلامه في هذا المقام غنيٌّ عن البيان زَيفه، ومنه تعلم أن هذا الشيخ تأخذه الحدة حتىٰ لا يعلم ما يقول، ولعله يصل إلىٰ درجة يسقط عنه بها التكليف، والله يتولىٰ الإعانة.

---

(١) هذا كلام فيه إجمال، فلا شك أن هذا الحديث ونحوه فيه تغليظ وتخويف، وهو علىٰ حقيقته، نؤمن به ولا نكذب، ونمرّه كما جاء، ونأخذ بظاهره المفهوم منه بعيدًا عن التأويلات المستكرهة. انظر: «مجموع الفتاوىٰ» لابن تيمية (٧/ ٦٧٤، ١٩/ ١٥٠) و«الإيمان» لأبي عبيد القاسم بن سلام (ص٨٨) و«تيسير العزيز الحميد» (ص ٤١٦). [ع]

قال: «**إن الوسيلة كل ما يُتَقَرَّب به إلىٰ الله تعالىٰ**».

نقل في هذا المقام كلامًا طويلًا يناقض بعضه بعضًا، ونحن نغضي عنه لكثرة ما أُلِّف فيه من التآليف، ثم نَقَضَ ذلك بقوله: «**الوسيلة كل ما يُتَقَرَّبُ به إلىٰ الله تعالىٰ**»، وعلىٰ زعمه ولو كان شجرًا أو حجرًا أو ترابًا أو بناءً أو وثنًا أو صنمًا، ولم يعلم أنه لا يتقرب إلىٰ الله تعالىٰ إلا بما أمر الله تعالىٰ به وصحَّ الأمر به عن نبيه ﷺ، ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧]، وأما تلك البدع التي يريد أن يجعلها سُنَّة، فكل مؤمن ينكرها عليه وعلىٰ غيره، وفطرة الله التي فطر الناس عليها تأباها، ثم إن باقي ما ذكره في رسالته قد كثر فيه القيل والقال، وكثرت فيه المؤلفات والردود، وقد أسلفنا لك قول بعض أئمة الحنابلة في ذلك فلا حاجة لنا في الإطالة هنا. وعلىٰ الله قصد السبيل.

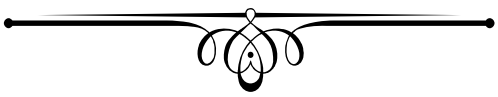

# النفخة الثانية

الحمد لله وحده، وصلىٰ الله علىٰ من لا نبيَّ بعده، وبعد:

فإن رسالة «المنحة» لما سماها صاحبها «المنحة الإلهية» وكانت المنح الربانية لا تكون إلا بالحق، لا جرم حَدانِي البيان إلىٰ مناقشته في أشياء لا يحق لها أن تُسمىٰ منحة إلهية، كما سيرىٰ ذلك من له قلبٌ أو ألقىٰ السمع وهوشهيدٌ.

استدلَّ بقوله تعالىٰ: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [النساء: ١١٥] الآية.

**أقول:** أليس سبيل المؤمنين هوسبيل الرسول ﷺ وسبيل الصحابة والتابعين، وما درج عليه أهل القرون الثلاثة؟! وكلهم كانوا يؤمنون بآيات الصفات علىٰ قاعدة قوله تعالىٰ: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ ﴾ [الشورىٰ: ١١] من غير تأويلٍ ولا تعطيلٍ ولا تشبيهٍ ولا تمثيلٍ، كما أوضحنا ذلك فيما سلف، هذا هو سبيل المؤمنين.

وأما تلك البدع التي تحوم حول تأييدها، فأخبرنا متىٰ كانت في زمان السلف؟! وفي أي وقت حسَّنوها؟! ولو منح الله تعالىٰ ذلك الكاتب منحةً إلهيةً لعَلِمَ أن الآية دليلٌ عليه لا له، وهذا كتاب الله ينطق بالحق، وهوالحكم،

قال تعالىٰ: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤﴾ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴾ [الأحقاف: ٤، ٥].

قال: «**لو كانوا كما يزعمون أنهم علىٰ الحق، لَمَا حاربوا أهل الإيمان في بيت الله الحرام، وارتكبوا أعظم القبائح بقتلهم الناس حين دخلوا الطائف قتلًا عامًّا، حتىٰ استأصلوا الكبير والصغير**» إلىٰ آخر ما قاله.

**نقول**: هذه قضيةٌ تاريخيةٌ، وليس أحدٌ من المؤرخين -سواءٌ كان من أعدائهم أو من غير أعدائهم- قال: إنهم قاتلوا في البيت الحرام، ولا دخلوه في قتال، اللهم إلا ما كان من دحلان، فإنه زعم أنهم قتلوا جده لأمرٍ ما، فاشتدَّ حَنَقه عليهم، مع أنه ذكر في كتابه أشياء كثيرةً؛ مِنْ قتْلٍ ونهبٍ وغاراتٍ، ألصقها بأمراء البيت الحرام، وناقضه الجبرتيُّ، وما وسعه إلا التكلم بالحق، وإنَّا - إن شاء الله - سنفرد جميع ما ذكره الجبرتي في رسالةٍ ليظهر أنك المفتري، فإن كان يزعم أن الطائف من الحرم فذلك اجتهاد منه، ولكن طاش سهم الكاتب، ومن يتأمّل كلامه بإنصافٍ تظهر له المناقضات والتحامل، لا سيما في قوله: إنهم أحرقوا المصاحف والصحيحين وغير ذلك.

ثم إني أدلُّ القارئ علىٰ مَن فعل ذلك الفعل الذي نسبه لغير أهله معتمدًا علىٰ أصح الكتب التاريخية، ولا أتجرَّأ علىٰ نسبة فعلٍ لغير فاعله؛ خوفًا من الله تعالىٰ الذي قبَّح الكذب والافتراء، وأعدَّ لصاحبه ما أعدَّ.

**أقول**: وكنت أود أن يكون ذلك الخبر مطويًّا، لكن جرأة ذلك الكاتب ووقاحته أوجبت ذلك. قال الإمام الفقيه ابن قتيبة في كتابه «الإمامة والسياسة»[١]:

إنَّ يزيد بن معاوية لمَّا وُلي المُلك، وامتنع أهل مكة والمدينة عن بيعته أجمع علىٰ إرسال الجيوش إليهما، فعسكر من بلده، وعرض الأجناد، فلم يخرج معه أصغر من ابن عشرين ولا أكبر من ابن خمسين، وكان الجيش علىٰ خيلٍ عرابٍ وسلاحٍ شاكٍ، وجعل علىٰ الجيش مسلم بن عقبة، وأرسل معه عشرة آلاف بعيرٍ تحمل الزاد، وأوصاه أن يتخذ المدينة طريقًا إلىٰ ابن الزبير وهو بمكة، وقال له: إن صدُّوك أو قاتلوك فاقتل من ظفرت به منهم وانهبها ثلاثًا.

قال ابن قتيبة: وذكروا أنَّ أهل الشام لمَّا انتهوا إلىٰ المدينة عسكروا بالجرف، وأحدقوا بها من كل ناحيةٍ. وخلاصة الأمر أنهم دخلوا المدينة بحيلةٍ من بعض أهلها، فاقتتلوا مع أهلها، وجعل مسلم يقول: من جاء برأس رجلٍ فَلَه كذا وكذا. فجعل يغري قومًا لا دين[٢] لهم، فقتلوا وظهروا علىٰ أكثر المدينة، وقتلوا بشر بن حنظلة ومحمد بن عمرو بن حزم الأنصاري، فَرُئِي بعد قتله ساجدًا، ثم دخل الجيش المدينة، فجالت خيولهم فيها يقتلون وينهبون، وقتلوا عبد الله بن زيد بن عاصم، وكان يومه صائمًا، فضربه رجلٌ من أهل الشام بفأسٍ بيده، فخرج منه نورٌ ساطعٌ في السماء، وقُتِلَ عبد الله بن حنظلة،

---

(١) هذا الكتاب منحول مكذوب علىٰ ابن قتيبة رَحِمَهُ اللَّهُ، ولا تصح نسبته إليه. وانظر: «كتب حذر منها العلماء» (٢/ ٢٩٨-٣٠١) و«كتاب الإمامة والسياسة في ميزان التحقيق العلمي» لعبد الله عسيلان، وكتاب «عقيدة الإمام ابن قتيبة» للدكتور علي العلياني (ص٨٨-٩٣).

(٢) في الأصل: لا دلين.

فَرُئِي بعد موته مادًّا أصبعه السبابة، وإبراهيم بن نعيم، فغطَّىٰ فرجه بيده، وعبد الله بن زيد صاحب حديث الأذان، ودخلوا دور بني الأشهل، فما تركوا في المنازل من أثاثٍ ولا حُلي ولا فراشٍ إلا نقد صوفه، حتىٰ الحمام والدجاج كانوا يذبحونها، ونتفوا لحية أبي سعيد الخدري، وضربوه ضرباتٍ، ثم أخذوا كل ما وجدوه في بيته، والرجل لم يخرج لقتالٍ، وكان سعيد بن المسيب لم يبرح من المسجد، ولم يكن يخرج إلا من الليل إلىٰ الليل، وكان يسمع إذا جاء وقت الأذان أذانًا يخرج من قبل القبر الشريف.

وبلغ عدد قتلىٰ الحَرَّة يومئذ من قريش والأنصار والمهاجرين ووجوه الناس ألفًا وسبعمائة، ومِن سائرهم[1] من الناس عشرة آلاف، سوىٰ النساء والصبيان، ودخل رجلٌ من أهل الشام علىٰ امرأةٍ نُفَساء من نساء الأنصار، ومعها صبيٌّ لها، فقال لها: هل من مالٍ؟ فقالت: لا والله ما تركوا لي شيئًا. فقال: والله لَتُخرجن إليَّ شيئًا أو لأقتلنك وصبيك هذا. فقالت: ويحك! إنه ولد ابن أبي كبشة الأنصاري صاحب رسول الله ﷺ ولقد بايعت رسول الله ﷺ معه يوم بيعة الشجرة علىٰ ألا أزني، ولا أسرق، ولا أقتل ولدي، ولا آتي ببهتانٍ أفتريه، فما أتيت شيئًا، فاتق الله! ثم قالت لابنها: يا بني، والله لو كان عندي شيءٌ لافتديتك به. قال: فأخذ بِرِجْل الصبي، والثدي في فمه، فجذبه من حجرها، فضرب به الحائط، فانتثر دماغه في الأرض.

قال: فلم يخرج من البيت حتىٰ اسودَّ نصف وجهه فصار مثلًا، وذكروا أنه قتل يوم الحَرَّة من أصحاب النبي ﷺ ثمانون رجلًا، ولم يبق بَدريٌّ بعد ذلك. وكانت الواقعة في ذي الحجة لثلاثٍ بقين منها سنة ثلاثٍ وستين من الهجرة.

---

(١) في الأصل: وسائرهم.

وفي تاريخ أحمد بن يوسف الدمشقي -المعروف بالقرماني- أن مسلمًا دخل المدينة وانتهبها ثلاثة أيام، وافتضَّ فيها ألف عذراء، والقصة أعجب من ذلك، وقد أطال المؤرخون في فظاعتها ووصفها.

وفي تاريخ القرماني أن ذلك الجيش سار حتىٰ أتىٰ مكة سنة أربعٍ وستين من الهجرة، فنصب أميره الحصين بن نمير المنجنيق علىٰ أبي قُبيس، ورمىٰ به الكعبة المعظمة، واحترقت من شرارة نيرانها أستار الكعبة وقرنا الكبش الذي فدي به إسماعيل، وكان بالسقف، وجاء رجلٌ في طرف رمحه نارٌ، واستعملها بالفسطاط، فوقعت النار علىٰ الكعبة، فاحترق الخشب، وانصدع الركن، واحترقت الأستار، وتساقطت إلىٰ الأرض، وذلك سنة أربع وستين من الهجرة.

والقصة مسطورةٌ في التاريخ معلومةٌ[1] وصاحب المنحة - أعزَّه الله - نقل تلك الوقائع، وزاد عليها من عنده، ونسبها إلىٰ قومٍ أَتوا بعدها بما يزيد عن الألف ومائة سنة، فالله يجزيه جزاء المفترين!

وعلىٰ فرض أن ما ذكره له أثرٌ، فما يجيب به عن واقعة الحرة وغيرها من الوقائع فهو جوابنا، فليتأمل من يُطالع رسالته وليطالبه بالنقل، وعند ذلك يتجلىٰ الحق.

علىٰ أن فنَّ التاريخ قد وصل اليوم إلىٰ درجةٍ عاليةٍ، ولا يعانيه إلا من عنده حذقٌ وتمحيصٌ وتدقيقٌ، كما نراه اليوم في كتب الأوربيين، أفيكون أولئك أَوْلىٰ منا بالصدق، والمُدَّعون للعلم لا يبالون بالإفك والتعدي

(١) انظر: نقد أحداث معركة الحرة في كتاب «مواقف المعارضين في خلافة يزيد بن عبد الملك» لمحمد الشيباني (ص٣٢٦-٤٨٥).

والافتراء واتِّباع الأغراض وأهواء النفوس؟! كأنهم لم يعرفوا الحديث الصحيح: «**كفىٰ بالمرء إثمًا أن يُحدِّث بكل ما سمع**»[(١)].

علىٰ أننا نقول: إن في الأخبار مبالغةً، وليُطالع صاحب «النفحة» كتاب أستاذه دحلان من أوله إلىٰ آخره، ولينظره بعقلٍ، فإنه يجده قد نسب إلىٰ الأشراف أمراء البيت الحرام مِن القتل والتعدي وسفك الدماء أكثر مما افتراه علىٰ مَن سماهم وهابية، فيعلم حينئذٍ أن الرجل لا ثقة بما ينقله ولا بما يقوله، وإنما يبني بنيانه علىٰ شفا جُرفٍ هارٍ.

إن صاحب «المنحة» أعاد بعد ذلك معنىٰ ما ذكره في رسالته الأولىٰ، وأنزل نفسه منزلة الثكلىٰ، يَنُوح تارةً ويموِّه أخرىٰ، ويلفق ويمخرق، وما أعرَفَه بذلك العلم؟ وما قَصْده إلا إثارة الفتن والتوجه عند العوام لمآرب يعلمها علاَّم الغيوب. دسَّ نفسه بين الصوفية، وتكلم علىٰ الذِّكر، ثم تدرَّج إلىٰ أن نسب للقوم أنهم اخترعوا من الذِّكر ما يناسب الوقت، حيث قال: «**تفنن الشيوخ المرشدون من أتقياء الأمة في تعليم المريدين طرائق الذكر بحسب ما رأىٰ كل مرشدٍ حال أهل الوقت الذي كان فيه**».

فانظر كيف نسب الشيوخ إلىٰ الابتداع ومخالفة كلام الرسول ﷺ! وهل بلغه ذلك بنقلٍ صحيحٍ عن الشيخ عبد القادر الجيلاني أو السيد أحمد الرفاعي والدسوقي والبدوي وأضرابهم، أم عن الشيخ أرسلان وأبي البيان، أم عن رجال الرسالة القشيرية[(٢)]، أم عن أساتذة حلية الأولياء لأبي نعيم! فإن كان

---

(١) أخرجه أبو داود (رقم ٤٩٩٢) وصححه الألباني، وأخرجه مسلم في مقدمة الصحيح بلفظ: (.. كذبًا) (١/ ٦٨).

(٢) هؤلاء المذكورون من رجال الصوفية علىٰ تفاوت كبير في سلامة المعتقد والاتباع، ففيهم الصّديق والزنديق، فالشيخ عبد القادر الجيلاني رَحِمَهُ اللَّهُ معروف بحسن المعتقد واتباع السنة والأثر، أما البدوي فصاحب كفر فاضح وتهتك وفجور، ومنهم ما بين ذلك.

بلغه ذلك فليخبرنا به من غير تحريفٍ ولا تبديل، فإن أخبار أولئك القوم بلغت مَن بَعدهم بطرقٍ كادت تكون متواترةً، وما بلغنا أن واحدًا منهم أنشأ عبادةً لم يأذن الله بها، فالله يتولىٰ هُدانا ويلهِمنا الرُّشد.

وأزيدك علىٰ هذا أن الشيخ عبد القادر الجيلاني لا يهمنا انتسابك إليه، فإن نسله قد ملأ البلاد، وهم أعرف الناس بأنساب بعضهم، ولكن يهمنا أن نقول: نحن أَوْلىٰ الناس به من جهة علمه وصلاحه الذي صار كالمُجْمع عليه، فإن الشيخ رضي الله عنه حنبليّ المذهب، سلفيّ الاعتقاد، كما تشهد له بذلك كتبه، أبعد الناس عن البدع، وهو الصارم المسلول علىٰ من خالف سنة الرسول، ولقد أخذ عنه العلمَ مَنْ هو مثل الشيخ موفق الدين المقدسي مجتهدُ المذهب الحنبليّ، والحافظ عبد الغني المقدسي إمام أهل الحديث في وقته وغيرهم، وانتصر أهل السنة بظهوره، كما ذكره الحافظ ابن رجب في «الطبقات» وغيره، ووصفه بأنه شيخ العصر، وقدوة العارفين، وسلطان المشايخ، وسيد أهل الطريقة في وقته، وكان بارعًا في المذهب والخلاف والأدب والأصول، أَفَيَليق بقدر هذا الإمام أن ينسب إليه الممخرقون بأنه كان صاحب طبْلٍ وزَمْرٍ وبِدَعٍ ما أنزل الله بها من سلطانٍ، توصلًا إلىٰ غاياتٍ سافلةٍ، ومَيْلٍ إلىٰ أقوالٍ افتراها عليه من يريد بها عيب هذا الدين، وهو والله بريءٌ منها، كما أن الرفاعي والبدوي والدسوقي وغيرهم من الكُمَّل بريئون من جميع ما ينسبه إليهم أهل الخلاعات والمجون[1].

---

(١) ليس الأمر كذلك بإطلاق، فأما الرفاعي فقد عرف بالعبادة والزهد، انظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء» (٢١/ ٧٧)، وأما الدسوقي فقد نسب إلىٰ مقالة وحدة الوجود، انظر: «الطرق الصوفية في مصر» للنجار (ص١٥٦)، وأما البدوي فصاحب زندقة ظاهرة وترك للصلوات، انظر كتاب «أحمد البدوي» لأحمد صبحي منصور. [ع]

مساكين أيها السادة، زَهدتم في الدنيا، وأَظمأتهم نهاركم، وأَسهرتم ليلكم في عبادة ربكم، ثم لقيتم وجه الله، فَخَلف مِن بعدكم خَلفٌ جعلوا حياضكم موردًا لكل مُتحيلٍ، ومَنهلًا لمَن يُروِّج بدعةً يبتغي من ورائها الطعام والشراب، يلفق كلامًا يشبه كلامكم، ولم يجاهد نفسًا لتكون مثل أنفسكم!

ثم إن كرامات الأولياء ما سمعنا من أحدٍ إنكارها، وإذا كان ثَمَّ إنكار فإنما هو علىٰ أشياء مكذوبةٍ لا تُطابق عقلًا ولا نقلًا، وكيف ينكرها قومٌ يتلون كتاب الله وسنة رسوله؟! لكن صاحبنا أخذ يلتقط أشياء من أفواه العامة ويُسوّد به صحيفته، ومثل هذا يكون الكلام معه ضائعًا، فلا يُلتفت إليه وإن أطال مهما أطال، ونحن نكلفه أن يُثْبت مدعاه بالنقل من كتابٍ موثوقٍ به، فإن وجد شيئًا من ذلك فنحن نشاركه في الرد علىٰ المنكر، لكن علىٰ طِبْق الشرع وصحة النقل.

وحاصل الأمر أن هذا الرجل لِشَغفه بالظهور -وإن كان فيه الخروج عن الشرع- يتسرع إلىٰ تكفير مَن سمَّاهم «وهابية»، ثم يحمله الحقد أن ينسب إليهم ما ليس لهم به علمٌ، ويستعين علىٰ تأييد مدعاه بالسبِّ والشتم، فإن كان أولئك باؤوا بذنب التكفير فقد باء هو بذلك الذنب، وزاد عليهم بذنوب الافتراء والإفك والسبِّ والشتم والتعدي علىٰ الشرع وتحريفه، ومَنْ طالع رسالته بإمعانٍ عَلم منه ذلك، فنعوذ بالله من الرياء والنفاق.

أما الكلام علىٰ الخضر فقد كفانا مؤنة الكلام عليه الحافظ ابن حجر العسقلاني في كتابه «الإصابة»[1]، والحافظ ابن الجوزي وغيرهما من كبار

(١) الإصابة (٢/ ٢٤٦ - ٢٨٢).

العلماء، وما يذكره الصوفية من حياة الخضر وإلياس فهي رموزٌ[١] قد حلَّها صاحب «الفتوحات المكية» في السؤال الثالث والخمسين والمائة من المجلد الأول من فتوحاته، حيث قال: الخضر عبارة البَسْط، وإلياس عبارةٌ عن القَبْض. فكُتُب الصوفية أُلِّفَت لمن يعرف مصطلحهم لا للجاهل الغبي الذي لم يشم شيئًا من مداركهم، ثم يتكلم على حد قول القائل:

**كلامك يا هذا كبندقٍ فارغٍ ... خَلِيٍّ من المعنى ولكن له طقش**

ولله در المعري حيث قال:

**فما بَالُ هذا العصر ما فيه آيةٌ ... من المسخ إن كانت يهود رأت مسخًا**

**وقال بأحكام التناسخ معشرٌ ... غلَوا فأجازوا الفسخ في ذاك والرسخا**

وقال:

**أحسن بهذا الشرع من ملةٍ ... يثبت لا ينسخ فيما نسخ**

**جاءت أعاجيب فَوَيْح لنا ... كأننا في عالم قد مسخ**

---

(١) لا يخفى أن في رموز الصوفية إجمالًا واشتباهًا، فقد توهم كفرًا وزندقة، وقد توهم معنى صحيحًا لا محذور فيه، والواجب الالتزام بالألفاظ الشرعية والإعراض عن الألفاظ الموهمة والرموز المجملة، كما ينبغي الاستفصال عن تلك الرموز، وكما قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: اعلم أن في لسان القوم من الاستعارات، وإطلاق العام وإرادة الخاص، وإطلاق اللفظ وإرادة إشارته دون حقيقته معناه، ما ليس في لسان أحد من الطوائف غيرهم، ولهذا يقولون: نحن أصحاب إشارة لا أصحاب عبارة. وقد يطلقون العبارة التي يطلقها الملحد ويريدون بها معنى لا فساد فيه. «مدارج السالكين» (٣/ ٣٠). [ع]

# خاتمة

لفَّق ذلك المدَّعي رسالةً ثالثةً كرر فيها ما ذكره في الأولىٰ والثانية من الإفك، والذي نعرفه لو أن ابن سعود أرسل ألف دينار لتُوزَّع علىٰ أهل العلم ممن كان علىٰ طريقة ابن عبد الوهاب، لرأيت ذلك الفاضل أول مَن يدَّعي ذلك، ولأطلق لسانه وألَّف في مدحهم ليحصل له القسم الأوفر من ذلك المال، ولَتَبِعه أولئك المشاغبون، ولحَصَلَ نزاعٌ فيما بينهم، ثم لو أرسل الإمام يحيىٰ[1] ألفين لتُعطىٰ لمن كان علىٰ مذهب زيدٍ، لرأيتهم أعلنوا بأنهم زيديةٌ حبًّا بالمال، فالله يوفقنا وإياهم.

أغار الإسكندراني علىٰ ما لفَّقه دحلان في آخر تاريخه، فمسخه وزاد عليه؛ لتكون صحيفته كثيرة السَّواد، ثم رأىٰ رسالةً للحافظ السيوطي سمَّاها «مسالك الحُنفا في إسلام أبوَي المصطفىٰ» فدخل بين الرسول ﷺ وبين أبويه بوقاحةٍ وسُوء أدبٍ، لينتحل تلك الرسالة ويسرقها، ويفتح باب تلك المسألة مفتريًا علىٰ أولئك القوم، ولو أنْصَفَ لَطَالَعَ كتاب «الفقه الأكبر» الذي ينسبونه للإمام أبي حنيفة -وهو بريءٌ منه- ولطالع رسالة منلا علي القاري[2].

---

(١) الإمام يحيىٰ حميد الدين ملك اليمن (ت ١٣٦٧هـ). انظر: «الأعلام» للزركلي (٨/ ١٧٠).

(٢) قرر الإمام أبو حنيفة رَحِمَهُ اللَّهُ في «الفقه الأكبر» أن أبوَي الرسول ﷺ ماتا علىٰ الكفر، وبسط هذه المسألة الشيخ ملا علي القاري في رسالته «معتقد أبي حنيفة الإمام في أبوي الرسول عليه السلام» وردّ علىٰ السيوطي دعوىٰ إسلام أبوَي المصطفىٰ ﷺ. [ع]

فيا أيها الفاضل، ما لَك ولهذه المسائل المفروغ منها! وما لك ولهذه الدعوىٰ! هَبْ أنها راجت عند العوام والجموديين، فهل تروج عند مَن له أدنىٰ مَلَكَةٍ من العلم؟! وما الموجِب لدخولك بين الرسول ﷺ وأبويه؟! وهل وكَّلوك بذلك؟! ولكن

**ومِن البَلِيَّة عذل من لا يَرْعوي عن جهله وخطاب من لا يفهم**

وبالجملة فإنه غاية ما يُقال في هذا الفاضل أنه يسعىٰ السعي الحثيث في إبعاد العوام عن خالقهم ورازقهم ومُدَبِّر أمرهم، ويربطهم بالمخلوقين، ويلهيهم بما لا يجلب لهم نفعًا ولا ضرًّا، ويبعدهم عن سُنَّة نبيهم، وعما جاء في القرآن من الآيات البينات، ويتحيل لذلك بفتح باب التحريف الذي يسميه التأويل، وعما جاء في القرآن من الآيات البيّنات؛ لِيَتسنَّىٰ له أن يكون مشارًا إليه عند العوام، وعقلاء القوم من كل مذهبٍ لا تروق لهم تلك الخزعبلات، ولا يميلون إلىٰ ذلك الحشو والجمود، وكأني بهم وقد رفعوا أصواتهم بالحق، ومزَّقوا بمرهفات أقلامهم وسهام ألسنتهم أستار الباطل، والحق مهما تغلَّب عليه المبطلون لا يَعْدم نصيرًا.

إن من جملة التعدي نقل أخبار الخوارج وإلصاقها بغيرهم، ولو كان لأولئك اطلاع لَعَلموا أن الخوارج موجودون إلىٰ اليوم، وهم ما يزيد علىٰ عشرة ملايين، ولهم مذهبٌ خاصٌّ بهم، وكُتُبٌ من الفقه والتفسير، وجلّهم في «جاوىٰ»، ومنهم الإباضية في تونس والجزائر وبقية المغرب، وهم يجاهرون بمذهبهم، ويَطبعون منه المجلدات، ولكن جمود بعض قومنا أبعدهم عن الاطلاع علىٰ ما في العالم من المذاهب، وحصروا أنفسهم في دائرةٍ ضيقةٍ، وقاسوا علوم العالم علىٰ ما تعلَّموه، وسوَّلت لهم أنفسهم أنه لا يوجد أذكىٰ ولا أعلم ولا أفقه منهم! فالله يُلهمنا وإياهم الصواب.

# خاتمة[1]

اجتمع جماعةٌ ممَّن دأبهم ترويج الخرافات علىٰ العوام، وأسرُّوا النجوىٰ بينهم قائلين: كاد الذين يأمرون بالمعروف وينهَون عن المنكر أن يقضوا علىٰ حرفتنا الساسانية قضاءً مبرمًا، فقال لهم رئيسهم: لا ضير، الأمر أسهل ما يكون، مَوِّهوا ما شئتم، وارقصوا وغنوا، ولا تتقيدوا بمذهبٍ، فإن اعترض عليكم معترضٌ نادُوا بأعلىٰ صوتكم: أنت وهابي مُبْغِضٌ للرسول، مُنكرٌ للأولياء! واحفظوا هذا الطلسم، فإنه يجلب لكم المال، ويدسكم في الوظائف، ويحضركم الموائد اللذيذة والمآكل الشهية، وتنهال الهدية عليكم، وإذا جلستم في المجالس فقولوا: نحن أخذنا اللُّبَّ وتركنا لغيرنا القشور! وإذا وجد عالمٌ متفننٌ مصلحٌ فأطلقوا ألسنتكم بذمّه والافتراء عليه؛ لِتُمَوّهوا علىٰ العوام أنكم أعلم منه، واستحلُّوا الكذب ما دمتم تريدون إصلاح جيوبكم ومعيشتكم.

واعلموا أنه كلما كثُر الجهل وقع العوام في عماءٍ، فكلما لاح لكم طريقٌ لنشر العلم فبادروا إلىٰ طمْس معالمه، وكلما أتاكم ذو بصيرةٍ فناصبوه بالعداوة، وألقوا في الأذهان أن العلوم الدنيوية بأجمعها كُفرٌ وضلالٌ، وما ذلك إلا أنكم لم تشموا رائحتها؛ ولأنها تقضي علىٰ خرافاتكم بالدمار. وكلما رأيتم

---

(١) هكذا في الأصل، فالمؤلف جعل لرسالته خاتمتين.

صاحب فكرٍ مستنيرٍ قابلوه بالمكر والخداع، حتىٰ إذا غاب عنكم تَلذَّذوا بغيبته ونميمته ونصْب المكائد له، وحينئذٍ يتم ما تريدون.

فأذعوا[1] لما أمَر به، وقام الكل متعاهدين علىٰ ذلك، ومهما كان الأمر.

**ومهما تكنْ عند امرئٍ من خليقةٍ وإن خَالها تخفىٰ علىٰ الناس تُعلم**

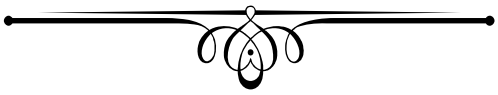

(١) كذا بالأصل، والصواب: فأذعنوا.

# نظـرة في رسالـة

## «النفحة الزكية
## في الرد على شُبه الفرقة الوهابية»

مؤلفها

أبو اليسـار الدمشقي الـميداني

طبعت في مطبعة الترقي عام ١٣٤٠هـ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله الولي الحميد، الغفور الودود، الفعَّال لما يُريد، الهادي إلىٰ دين التوحيد، الذي ألَّف بين قلوب عباده المؤمنين؛ فأصبحوا بنعمته إخوانًا مِن بعد ما كانوا أعداء، القائل: ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٣]، والقائل: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

والصلاة والسلام علىٰ نبي الرحمة، ومُصلح الأمة الذي أنزل الله عليه: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]، والذي أثنىٰ الله عليه بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، سيدنا محمد النبي الأمي الذي لَانَ لِقومه بما أودع الله فيه من رحمةٍ، فدعا إلىٰ سبيل ربه بالحكمة، فاستجاب لدعوته الألوف من البشر، ولولا الرحمة والحكمة لما هوت إليه الأفئدة، ولما أُشربت حُبَّه القلوب، ولما دخل الناس في دين الله أفواجًا، ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، ﴿يُؤْتِي

﴿ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة: ٢٦٩]، صلَّىٰ الله عليه وعلىٰ آله الأطهار، وصحْبه الأبرار، ما تعاقب الليل والنهار. أما بعد:

فقد وقفْت علىٰ رسالة «**النفحة الزكية في الرد علىٰ شُبه الفرقة الوهابية**» لفاضلٍ من نزلاء دمشق، وغرضُ المؤلف منها الرد علىٰ من منع التوسل بذات النبي ﷺ وغيره من الأنبياء والصالحين، وليت المؤلف وقف عند هذا الحد ولم يتجاوزه إلىٰ ما هو أبعد، ولكنه وسّع الدائرة، وتناول في ذمِّه النجديين والشاميين، وآذىٰ في سَبِّه وشتمه الأحياء والأموات.

وفي طليعة رسالته ترجمةٌ للشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ ما أظن أن أحدًا ممن رُزق حظًّا من التحقيق والمعرفة بحال المترجَم وجانبًا من الإنصاف يرضىٰ عنها، لا سيما إذا خاف مقام ربه ونهىٰ النفس عن الهوىٰ.

ولا أحب أن أخوض معه فيما كتبه عن الوهابيين ومن يتهمه بالانتساب إليهم من الدمشقيين، فإن السبَّ لا يَعمد إليه إلا عاجزٌ أو صاحب هوًىٰ، وأنا ليس لي مِن غرضٍ غير جمْع الكلمة، وتقريب مسافة الخُلف بين الفريقين، وبيان الحق بلطفٍ، ﴿فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾ [يونس: ١٠٨].

## نبذة من كلام مؤلف الرسالة

إليك نبذة مما قاله في وصف بعض الدمشقيين (ص ٦):

**«ليس عجبي من ابن عبد الوهاب وتابعيه المخالفين لما اتفقت عليه الأئمة -رضوان الله عليهم- بأكثر من الشرذمة القليلة في دمشق المُروِّجين لعقيدتهم الفاسدة وبضاعتهم الكاسدة، الذين أرهقتهم الغواية، وغشيتهم الجهالة، واستزلَّهم شيطان الهوىٰ والغرور، حتىٰ هوىٰ بهم إلىٰ أخسّ دَركةٍ من دَركات السخافةِ»، وقال: «فَوَاخجلتاه! كيف يروق للشرذمة المنتسبة إليهم الموجودة في دمشق المتصفة بالتمدن والحضارة أن تكون تابعةً لسكان البوادي، وتُفتتن بعقائدهم البديهة البطلان، مع أن فيهم من ينتسب إلىٰ العلم ويدَّعي الفهم؟!» إلىٰ أن قال: «كيف افتتنوا بتلك الترهات، وانخدعوا بالمموّهات، ونهضوا يروجون تلك العقائد الزائغة والأضاليل الباطلة، ويبثون في أفكار العوام هذا المذهب الذي أطبقت عقلاء الأمة علىٰ فساده؟!» اهـ.**

**أقول**: هذه جُملٌ من عباراته العالية وآدابه السامية[1] في وصف إخوانه الدمشقيين - دع النجديين وما وصفهم به - عرضناها علىٰ القارئ الكريم ليعرف بها مَبْلغه من الأدب، ودرجته من الحرص علىٰ جمْع الكلمة والتأليف بين المسلمين في هذا اليوم الأيوَم[2]!

وقد نقل لنا غير واحدٍ عن هذا الرجل أنه صار في دَرْسه يذمُّ بعض علماء دمشق وغيرهم، من أمواتٍ وأحياءٍ، ويصرح بأسمائهم وأسماء بعض محلَّاتهم

---

(١) هذا من باب التهكم علىٰ صاحب الرسالة!

(٢) يَوْم أيوم: طَوِيل شَدِيد (المعجم الوسيط ٢/ ١٠٦٧).

وأحيائهم، ويُنفِّر ممن أخذ العلم عنهم أو سمع شيئًا منهم، وأنه لما تعرض للميدانيين ردّ عليه بعضهم أحسن ردٍّ، فلما اتصل ذلك بسماحة رئيس العلماء استدعاه وسأله: لم عدل في درْسه عن إرشاد العامة ووعظهم إلىٰ الطعن بأشخاصٍ ذهبوا إلىٰ رحمة ربهم، وآخرين في قيد الحياة؟ فأنكر ذلك أشد الإنكار وقال: إنه لم يُصرِّح بأسماء فلانٍ وفلانٍ وفلانٍ في الدرس، وإنما كان يتكلم في مسائل عموميةٍ لا تَعلُّق لها بالأشخاص!

ثمَّ ليت شعري، كيف يتهم الفئة الدمشقية بالانتساب إلىٰ الشيخ محمد بن عبد الوهاب وجماعته ثم يقول بعد: «**وقد سألتُ رجلًا منهم** (يعني الدمشقيين) **عن مذهبه يومًا؛ أشافعي أو حنفي؟ فأجابني بأنه أثري؛ يعني لا ينتسب إلىٰ أحد من المجتهدين** رضي الله عنهم» اهـ.

فإذا كنتَ تُفسر قوله بأنه أثريٌّ بعدم الانتساب إلىٰ أحدٍ من الأئمة المجتهدين أنفسهم -***رحمهم الله تعالى ورضي عنهم***- فكيف تنسبه إلىٰ رجلٍ من أتباع أحمد بن حنبل، وهو محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ! وكيف يمكنك أن تطابق بين الدعوىٰ والدليل؟! ثم كيف جاز لك أن تملأ رسالتك من دعوىٰ أن الوهابيين قاطبة يُكفِّروننا ويزعمون أنا مشركون؟! وها نحن أُولاء نراهم في مساجدنا يُصلون خلف أئمتنا مُقتدين بهم، ولا تكاد تدخل مسجدًا من المساجد وقت الصلاة إلا وتجد بعضهم يؤدي الصلاة فيه مُؤتمًّا بإمامه! فإذا كانوا يرموننا بالشرك - كما زعمت - فكيف يقتدون بنا ويُصلون معنا؟!

وهب أنه كان التطرف والرمي بالشرك والكفر من بعض جُهَّالهم وغُلاتِهم، فهل يصح أن يُؤخذ الكل بذنب البعض؟! ألم يقل تعالىٰ: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤]؟! وهل يمكنك أن تُبرِّئ جُهالنا وغُلاتنا مِن مِثل

هذا التطرف؟! ولم لا تنصح لعوامنا، وتُندد بهم، وتزجرهم عن تكفير غيرهم كما فعلت بأولئك؟!

ثم ما معنىٰ قوله: «**كيف يَروق للشِّرْذمة المنتسبة إليهم الموجودة في دمشق المتصفة بالتمدن والحضارة أن تكون تابعةً لسكان البوادي؟!**»؟

أيُّ مدخلٍ للتمدن والحضارة فيما نحن فيه؟! أليس الكلام في التوحيد؟! وما دخله من البدع؟! أليست العقائد والعبادات من الدين الذي أكمله الله تعالىٰ علىٰ يد رسوله ﷺ؟! أليس مبنىٰ الدين علىٰ الاتباع المحض؟! هل يجوز فيه التغيير والتبديل والزيادة والنقصان؟! ما معنىٰ التمدن والحضارة في هذا المقام؟!

ثم أي تمدنٍ وحضارةٍ تعني؟ إن كنت تعني مَدَنِيَّتنا وحضارتنا في هذا الزمان، **فالجواب** أنا لا نرىٰ أثرًا لهذه المدنية بيننا؛ لا في اختراعٍ ولا في صناعةٍ ولا زراعةٍ ولا تجارةٍ، وإن كنت تريد مَدَنيَّة أسلافنا، فلا يحق لنا أن نفتخر بها ونحن قد أضعناها.

ولقد تذكرت أن أحد الأوروبيين كان يذكر لأحد أفاضل المسلمين ما انتهت إليه أوروبا من البسطة في العلم، والسَّعَة في المُلك، والاختراع في الفن، ويُباهي بذلك، فقال له المسلم: لنا الفخر؛ لأن هذا الرُّقيّ قد أخذتموه عن أساتيذكم العرب، وهم آباؤنا. فأجابه الأوروبي: لا حقَّ لكم بهذا الفخر، ونحن أحقُّ به منكم؛ لأنا أخذنا علوم سَلفِكم ونشرناها، فَكُنا بِعِلْمهم عَامِلِين، أما أنتم فقد أضعتموها وكنتم لهم عاقِّين.

وإن كنتَ ترىٰ المدنية في الافتتان باللباس، والتفنن بالطعام والشراب، والاستكثار من الوظائف والمرتبات من أجل ذلك، فهذا أقبح ما سَرَىٰ إلىٰ صنف العلماء من الأمور الذميمة، وصدَّهم عن تخريج الطلاب في العلوم

والآداب وتصنيف الكتب وإحياء العلوم.

وأما وشرف العلم أن عند كثيرٍ من علمائنا الأغنياء من العلم والمال ما يستطيعون أن يخدموا به كثيرًا من الطلاب، فلو كانت هِمَمُهم متوجهةً لإحياء العلوم الشرعية والعربية لقاموا بهذه الوظيفة المقدسة حقَّ القيام، وإذًا لازدهرت هَاتيك العلوم في هذه الديار أَيّما ازدهارٍ.

وإنك لَتَجد بعض الشبان والكهول من المشتغلين المجدِّين الذين قضوا شطرًا كبيرًا من حياتهم في الجمع بين المعقول والمنقول، والتدقيق في الفروع والأصول، يفتشون عن وظيفةٍ علميةٍ تُسند إليهم لينفعوا بعلمهم ويستزيدوا منه، ويتمرنوا علىٰ العمل، وليستعينوا بالمرتب علىٰ أمر معيشتهم، فلا يجدون إلىٰ ذلك سبيلًا، ولا من أحدٍ من أهل العلم مساعدة، ولو بالتخلي عن وظيفةٍ ومرتبٍ زائدَين عن حاجتهم، فيضطرون هناك إلىٰ الاشتغال بما يقيهم ذلَّ السؤال، والأمر لله.

وقد كان الواجب يتقاضىٰ من يزعم الغيرة علىٰ الدين وأهله ويدَّعي أنه من حُماته ودُعاته أن يساعدهم بكل ما يمكن؛ رحمةً بهم وبمئات الطلاب التي كان يمكن أن تحصل عندهم، وتتخرَّج علىٰ أيديهم.

مَن ذا الذي يخدم الدينَ للدينِ والعلمَ للعلمِ خدمةً خالصةً من كل شائبةٍ، لا يتقاضىٰ عليها أجرًا، أوليس له في مقابلها شيءٌ؟! ألا ليت أصحاب الوظائف الموكول إليهم أمرها يقومون بها ويوفونها حقها؛ كيلا يأكلوا أجورها من دون عملٍ، وهي لم توقف أو تخصص إلا لمن عمل.

## حالنا وحال النجديين

إذا أردنا أن نُقابل بيننا -معشر أهل التمدن والحضارة- وبين سكان البوادي النجديين الذين تزعم وتوازن بين سخائنا علىٰ نشر العلم وسخائهم، وغَيرَتنا علىٰ الدين وغَيرَتهم، وكانت حالنا ما قدمنا، ورأينا كثيرًا من كتب العلم الديني قد طبعها تجارهم وجعلوها وقفًا لله تعالىٰ، ووزعوا الألوف منها علىٰ المسلمين في عامة الأقطار، سواء في ذلك أهل البوادي وسكان المدن والأمصار، ولا يزالون دائبين علىٰ طبع الكتب النفيسة، حريصين علىٰ نشرها مجانًا[1] يُخرجون بها الناس من ظلمات الجهل إلىٰ نور العلم والمعرفة، ولم تكن تلك الكتب من تأليف أهل نَجدٍ فحسب، بل معها كتب أئمتنا وأجلاَّئنا الدمشقيين وغيرهم، كابن تيمية وابن القيِّم وابن قُدامة، وهم يطبعونها ويوزعونها علىٰ المسلمين، لا يريدون منهم جزاءً ولا شكورًا - فأيّ المَدَنيَّتيْن قد عَمَّ خيرُها وظهر أثرها، وحقَّ أن يفخر بها أهلها: المدَنية التي أفسدت علينا ديننا ومروءتنا، وسَلَبتنا جلَّ أوصافنا الحميدة، وأكسبتنا أخلاقًا ذميمة؛ كالبخل والكذب والكبر والبَذَخ والرياء، وتقديم المصلحة الخاصة علىٰ المصلحة العامة، أم تلك المدنية الفطرية الساذجة التي لم تشبها شائبةُ الفساد؟! بربك أنصف ثم احكم.

(١) انظر: «طباعة الكتب ووقفها عند الملك عبدالعزيز» لعبدالرحمن الشقير.

## عَوْد على موضوع الرسالة

**قلنا:** إنه جعل موضوع هذه الرسالة (**جواز دعاء الله تعالىٰ مع التوسل إليه بذات النبي ﷺ وسائر الأنبياء والصالحين**)، وقد جعل هذه المسألة أُمّ المسائل وموضع الخلاف والحكم بين الفريقين.

والحال أن هذه مسألةٌ مشهورةٌ، وفيها نزاعٌ معروفٌ بين العلماء، وهو لم يأتِ في رسالته بشيءٍ غير ما استدل به بعض العلماء وردَّه البعض الآخر، وسنذكر طَرَفًا من ذلك، وقد ذكر شيئًا وترك أشياء؛ ذكَر المختلف فيه، ولم يتعرض لما نهىٰ عنه رسول الله ﷺ نهيًا صريحًا، وكيف يتعرض لذلك ويذكره وهو يخشىٰ أن يعيد عليه الناس لفظ (وهابي) الذي لقبوه به من قبل!

**ما نهىٰ عنه رسول الله ﷺ نهيًا صريحًا، وخالفه الناس فيه:**

إليك ما قاله الإمام الحجة محيي الدين محمد البركوي[1] صاحب الطريقة المحمدية وغيرها في رسالته التي ألفها في "زيارة القبور"، قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

ومَن جمع بين سُنة رسول الله ﷺ في القبور، وما أمر به، وما نهىٰ عنه، وما كان عليه الصحابة والتابعون لهم بإحسانٍ، وبين ما عليه أكثر الناس اليوم رأىٰ أحدهما مضادًّا للآخر مناقضًا له، بحيث لا يجتمعان أبدًا:

◊ فإنه عليه السلام نهىٰ عن الصلاة إلىٰ القبور، وهم يخالفونه ويصلون عندها.

---

(١) هو محمد بن بير علي البركوي الرومي الحنفي ( ٩٢٩ هـ - ٩٨١هـ ) ورسالته «زيارة القبور الشرعية والشركية» مشهورة، وقد طبعتها الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء بالسعودية عدة طبعات.

◈ ونهىٰ عـن اتخـاذ المسـاجد عليهـا، وهـم يخالفونـه ويبنـون عليهـا مسـاجد ويسمونها مشاهد.

◈ ونهىٰ عـن إيقـاد السُّـرج عليهـا، وهـم يخالفونـه ويُوقِـدون عليهـا القناديـل والشموع، بل يُوقِفون لذلك أوقافًا.

◈ أمر بتسويتها، وهم يخالفونه ويرفعونها من الأرض؛ كالبيت.

◈ ونهىٰ عن تَجْصيصِها والبناء عليها، وهـم يخالفونـه ويُجَصِّصـونها ويعقـدون عليها القباب.

◈ ونهىٰ عن الكتابة عليها، وهم يخالفونه ويتخـذون عليهـا الألـواح، ويكتبـون عليها القرآن وغيره.

◈ ونهىٰ عـن الزيـادة عليهـا غيـر ترابهـا، وهـم يخالفونـه ويزيـدون عليهـا سـوىٰ التراب الآجُرّ والأحجار والجِصّ.

◈ ونهىٰ عن اتخاذهـا عِيـدًا، وهـم يخالفونـه ويتخـذونها عيـدًا، ويجتمعـون لهـا كاجتماعهم للعيد وأكثر.

قـال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والحاصـل أنهـم مناقضـون لمـا أمـر بـه الرسـول عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ونهـىٰ عنه[1]. انتهىٰ.

**أقول**: وكل هذه البدع القبورية التي ذكرها الإمام البركـوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ واقعـةٌ في زماننا، ومشاهَدةٌ لا تخفىٰ علىٰ ذي بصرٍ، وقد ساق الإمام البركـوي الأحاديـث الـواردة في النهـي عنهـا، والمُحـذِّرة مـن الوقـوع فيهـا أشـدّ التحـذير، ومـن أراد استيفاءها فليرجع إلىٰ رسالته[2].

---

(١) «زيارة القبور» (ص٢٤).

(٢) هـي مطبوعـة مـع رسـائل للمؤلـف في قسـطنطينية، سـنة ١٣٢٦هـ، ومطبوعـة في مصـر ضـمن مجموعة سنة ١٣٢٩هـ، وطبعت حديثًا كما أشرنا.

وصـاحب «النفحـة» غنـيٌّ عـن سـرد أحاديـث النهـي في هـذا البـاب، فإنـه يعرفها ويعرف أحكامها من كُتب مَذهبه، فهل ينهىٰ العامة عنها، ولـو بالتـذكير، من غير طعنٍ ولا تكفيرٍ، أو يخشىٰ من أن يُقال له: «وهـابي» وهـو يفـرُّ مـن هـذا اللقب فرار السليم من الأجْرب، فيُؤْثر السكوت عن بيان الحق!

وقال البركوي رَحِمَهُ اللَّهُ بعد أسطرٍ مما تقدم، ونحن ننقل عبارته باختصارٍ، ونحذف منها ما يمسّ العواطف والشعور، مِن نسبة الشرك أو الكفر إلىٰ بعض أعمال غُلاة القبور، قال:

"فانظر إلىٰ ما بين ما شرعه النبي عَلَيْهِ السَّلَامُ من النهي عما تقدَّم ذِكره في القبور، وبين ما شرعه هؤلاء وما قصدوه من التباين! ولا ريب أن في ذلك من المفاسد ما يعجز العبد عن حصره:

- فمنها: تعظيمها المُوقِع في الافتتان بها.
- ومنها: تفضيلها علىٰ أحبِّ البقاع إلىٰ الله تعالىٰ؛ فإنهم يقصدونها مع التعظيم والاحترام والخشوع ورقة القلب، وغير ذلك مما لا يفعلونه في المساجد، ولا يحصل لهم فيها نظيره ولا قريبًا منه، وذلك يقتضي عمارة المشاهد وخَراب المساجد.
- ومنها: اعتقاد أن بها يُكشف البلاء، ويُنصر علىٰ الأعداء، ويُستنزل الغيث من السماء، إلىٰ غير ذلك من الرجاء.
- ومنها: الدخول في لعنة الله تعالىٰ ورسوله باتخاذ المساجد والسُّرج عليها.
- ومنها: النَّذر لها ولِسَدَنتها.
- ومنها: المخالفة لله ورسوله، والمناقضة لما شرعه في دِينه.
- ومنها: إماتة السنن وإحياء البدع.

ومنهـا: إيـذاء أصـحابها؛ فـإنهم يتـأذّون بمـا يُفعـل عنـد قبـورهم ممـا ذُكـر، ويكرهونه غاية الكراهة.

ومنها: أن الذي شرعه النبي عليه السلام عند زيارة القبـور إنمـا هـو تـذكُّر الآخـرة والاتعـاظ والاعتبـار بحـال المَـزور، والإحسـان إليـه بالـدعاء لـه، والـترحم عليه؛ حتىٰ يكون الزائر مُحسنًا إلىٰ نفسه وإلىٰ الميت[1]. اهـ.

وقال في موضعٍ آخر باختصار أيضًا:

زيارة القبور نوعان: زيارةٌ شرعيةٌ، وزيارةٌ بِدْعية.

أما الزيارة الشرعية التي أذن فيهـا رسـول الله ﷺ فالمقصـود منهـا شـيئان: أحدهما راجعٌ إلىٰ الزائر؛ وهو الاعتبـار والاتعـاظ، والثـاني راجـعٌ إلـىٰ الميـت؛ وهو أن يُسلّم عليه الزائر ويدعو له.

ثم قال: وأمّا الزيارة البِدْعية فزيارة القبور لأجل الصـلاة عنـدها والطـواف بها، وتقبيلها واستلامها، وتعفير الخدود عليها، وأخذ تُرابها، ودعـاء أصـحابها، والاسـتغاثة بهـم، وسـؤالهم النصـر والـرزق والعافيـة والولـد وقضـاء الـديون وتفريج الكربات وإغاثة اللهفات، وغير ذلك مـن الحاجـات، فلـيس شـيءٌ مـن ذلك مشروعًا باتفاق أئمة المسلمين؛ إذ لم يفعلـه رسـول الله ﷺ ولا أحـدٌ مـن الصحابة والتابعين وسائر أئمة الدين[2]. اهـ.

**أقول**: هذا قليلٌ من كثيرٍ مما ذَكره الفاضل البركوي في رسالته، وهـو متفـقٌ علـىٰ جَلالـة قـدْره وغَـزارة علمـه، وهـو الحنفـي الصـوفي صـاحب الطريقـة المحمديـة التـي شـرحها الشـيخ النابلسـي -قدس سرّه-، وهـو الـذي ألَّـف

(١) «زيارة القبور» (ص٢٥).

(٢) «زيارة القبور» (ص٣٢).

هذه الرسالة ومات قبل أن يخلق الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمهم الله تعالى- فهل يقال: إنه وهابي؟!

وإذا قلنا عنه ذلك فإن البركوي يقول: إن هذه منكراتٌ، وليس شيءٌ منها مشروعًا باتفاق أئمة المسلمين. فهل يُقال: إن أئمة المسلمين المتقدمين منهم والمتأخرين علىٰ تباين الأقطار وتباعد الأعصار كانوا كلهم وهابيين؟! وإذا قيل ذلك، فماذا يفعل بالأحاديث الصحيحة الصريحة في النهي عما تقدّم من البدع؟! وهل يكون لفظ وهابي -والحال ما ذكر- لقب مدحٍ أوذمٍّ؟!

فإنْ قال قائلٌ: سلّمنا أن هذه بدعٌ ومنكراتٌ، وأن ما ذكره البركوي رَحِمَهُ اللَّهُ قد صرّح به الفقهاء علىٰ اختلاف المذاهب، ولكن ذلك لا يقتضي تكفير العوام؛ لأن العامي وإن دعا غير الله أو استغاث به فإنه سليم النّية والقصد، ولولا اعتقاده أن ذلك داخلٌ تحت أغراض الشارع ومقاصده لَمَا فعله، علىٰ أنك إذا سألته عن قصده فإنه يُفصح لك عن سلامة نيته وخُلوص طَويَّته، وأنه كان يظن أن ذلك الذي فعله كان طاعةً لا معصيةً.

فنقول في الجواب: حقٌّ ما قلت؛ فإن كثيرًا من العوام ملتزمون لأحكام الإسلام، وإذا قيل لهم: قال الله، قال رسول الله، هذا حلالٌ، هذا حرامٌ؛ سمعوا ورجعوا، ونعوذ بالله أن نُكفِّر مسلمًا غير جاحدٍ ولا معانِدٍ[1] وهو يعتقد أن

---

(١) قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ: «وإذا كنا لا نكفر من عبد الصنم الذي علىٰ عبد القادر، والصنم الذي علىٰ قبر أحمد البدوي، وأمثالهما، لأجل جهلهم وعدم من ينبههم، فكيف نكفر من لم يشرك بالله إذا لم يهاجر إلينا أو لم يكفر ويقاتل؟! سبحانك هذا بهتان عظيم!» الدرر السنية (١/ ٦٦)، وقال أيضًا: «بل نشهد الله علىٰ ما يعلمه من قلوبنا بأن من عمل بالتوحيد وتبرأ من الشرك وأهله، فهو المسلم في أي زمان وأي مكان، وإنما نكفر من أشرك بالله في إلهيته بعدما نبين له الحجة علىٰ بطلان الشرك» مجموع مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب (٣/ ٣٤)، وقال أيضًا: «ما ذُكر لكم عني أني أكفر بالعموم، =

ما يفعله مَندوبٌ إليه لا منهيٌّ عنه، ولكني أقول سائلًا: إذا كان هؤلاء مخطئين في عملهم يحتاجون إلىٰ إرشادٍ وتعليمٍ، وإيضاحٍ وتفهيمٍ، فلمَ لا نُعلّمهم ولا نرشدهم؟! ولمَ لا نأمرهم بالمعروف وننهاهم عن المنكر بالرفق واللين؟! ولمَ لا ندعو إلىٰ سبيل ربنا بالحكمة والموعظة الحسنة؟!

بل لماذا يكون بعض المنسوبين إلىٰ العلم حُماةَ هذه البدع والمنكرات، بل دُعاتها والذَّابِّين عن مرتكبيها والمنتصرِين لهم، وهُم هُم المعترضون علىٰ من ينهىٰ عنها في المساجد، والطاعنون فيه، والمُشنِّعون عليه؟! ألم يكن الواجب عليهم أن يشدوا أزْرهم، ويحموا ظَهْرهم، ويُسهموا هم في إنكار هذه المنكرات، ويشاطروهم في إزالة هذه البدع والضلالات؟!

أليس العلماء ورَثة الأنبياء؟! ألا يجب عليهم بيان الحق؟! أيجوز لهم كتمانه والسكوت عنه؟! ألم يأتهم أنباء ما يجري حول قبور الأنبياء والصالحين؟! ألم يسمعوا ما كان يقوله بعض العامة في حرب طرابلس الغرب وغيرها، وما عهدهم منها ببعيدٍ: إن الوَلي الفلاني قد ركب حصانه وسافر لقتالهم؟! وقد خُذلنا وفشلنا في كل تلك الحروب! إنا لله وإنا إليه راجعون.

---

= فهذا من بهتان الأعداء، وكذلك قولهم: إني أقول: من تبع دين الله ورسوله وهو ساكن في بلده أنه ما يكفيه حتىٰ يجيء عندي، فهذا أيضًا من البهتان، إنما المراد اتباع دين الله ورسوله في أي أرض كانت، ولكن نكفر من أقرّ بدين الله ورسوله ثم عاداه وصدّ الناس عنه، وكذلك من عبد الأوثان بعدما عرف أنه دين المشركين وزينه للناس، فهذا الذي أكفره، وكل عالم علىٰ وجه الأرض يكفر هؤلاء، إلاّ رجلًا معانِدًا أو جاهلًا» مجموع مؤلفات الشيخ (٣/ ٣٣)، وقال أيضًا: «وأما ما ذكر الأعداء عني أني أكفر بالظن وبالموالاة، أو أكفر الجاهل الذي لم تقم عليه الحجة، فهذا بهتان عظيم، يريدون به تنفير الناس عن دين الله ورسوله» مجموع مؤلفات الشيخ (٣/ ١٤).

أرأيت أنه لو كان جيشٌ من المسلمين مؤلفًا من مئاتٍ أو ألوفٍ مجهَّزين بأحدث أنواع السلاح وأفْتك آلات الحرب، وكان عدوهم مُصبحهم أو مُمسيهم، وهم مستعدون لمُنازَلته، ثم جاءهم غشَّاشٌ كذوبٌ بلباس أحد الصالحين وهيأته وقال لهم: أيها المسلمون، ارجعوا فقد كُفِيتم شرَّ عدوكم، وقد خرج أحد أولياء الله تعالىٰ من قبره لقتالهم وطردهم، ألا يصدقون ذلك المخبِر ويَعُدُّون عدم تَصديقه نقيصةً ومَذمَّةً؟! فأيّ أوهامٍ أكبر من هذه الأوهام؟! وأليس ذلك مناقضًا لما أنزل الله به كُتبه وأرسل به رُسله، لا سيما دين الإسلام وهدْي النبي عليه الصلاة والسلام؟!

ليت شعري، أكنتَ ترىٰ هذه المنكرات فاشيةً شائعةً بين الناس بهذا المقدار لو اتفقت كلمة المؤيدين لها والساكتين عنها من المنسوبين إلىٰ العلم مع العلماء الأحرار، ولم يخافوا في الله لَوْمة لائمٍ؟!

**الحقَّ أقول**: إن هذه العقائد أو العوائد قد قَبُح أثرها وعمَّ ضررها، فمتىٰ تكون لمؤلف هذه الرسالة وأمثاله غَيرةٌ يكون مِن أَثَرها إزالة هذه البدع وإحياء مَيت السُّنن؟! لِم لا نرىٰ لهم مثل هذه الغيرة أو قريبًا منها في الدفاع عن أصل الدين والرد علىٰ المبشرين؟! لمَ لا تظهر غَيرتهم عليه بتعليم النشءِ الجديد العلمَ النافع، وبيان أن العقل والنقل رضيعَا لَبانٍ وأخوان شقيقان؟! لمَ لا تظهر غَيرتهم عليه بتأسيس مدارس تُغني النشءَ عن المدارس الأجنبية وتَقيهم خطَرها وضرَرها؟! لمَ لا تكون لهم غيرة عليه بتأليف كتبٍ تنشر محاسن الدين ومزاياه؟! لماذا تظهر هذه الغَيرة بالتفريق لا بالجمع، وبالتنْفير لا بالتأليف؟! كيف يروق لهم هذا الرد والتَّلهِّي؟!

**وهم يَشهدون الطعنَ في دينِ أحمد ... وما منهم من غاضبٍ أو مُعاتب**
**وتَنْظُرهم ما بين كأسٍ وطاعمٍ ... وتشهدهم ما بين لاهٍ ولاعب**

فمَـنْ كـان مـنهم غائبًـا مثـل حاضـرٍ ومـن كـان مـنهم حاضـرًا مثـل غائـب
ولــيس لَهــمْ هَــمٌّ بغيــر رِئاســةٍ ومــا هَمُّهــم إلا صــدور المناصــب

آهٍ! وَوَاحَـرَّ قلبـاه مـن حـال هـؤلاء المُفَـرِّقين النّمّـامين! ويـا حسـرةً علـىٰ المسلمين!

حَنانَيْــكَ يــا ربَّــاه مــاذا أصــابنا وماذا دَهَـىٰ الإسـلامَ سـرعان عـاجلًا!
وأنـت -رعـاك الله- يـا نَسـل يَعْـرب ألســت تــرىٰ في ذاك مجـدك زائـلًا!
سـلامٌ علـىٰ يـومٍ نَـرىٰ العـرب تتّقـي بـه غـدْر مَـن قـد كـان للـدين خـاذلًا

## بحث الوسيلة والتوسل

فـإنْ قـال قائـلٌ: إنـك قـد توسّـعت في الموضـوع، وتبسّـطت فيـه أكثـر مـن المطلوب، فهلاَّ تذكر شيئًا في بحث الوسيلة!

**قلت**: إن الخَطْب فيهـا في جانـب مـا تَقـدَّم يسيرٌ، والأمـر سـهلٌ، والمسـألة خلافيةٌ لا تحتاج إلىٰ هذا التهويل الذي أتىٰ بـه حضـرة مؤلـف رسـالة «النفحـة الزكية»، والقول بأن مانعي التوسل هم الفرقة الوهابيـة ومُثْبِتِيـه هـم أهـل السـنة السَّنية غيرُ صحيحٍ، فإنّ البحث فيه معروفٌ مـن قبْـل أن يُخلـق محمـد بـن عبـد الوهاب بأكثر من ألف سنةٍ، وإليك ما قالـه الفاضـل البركـوي نقـلًا عـن فُضـلاء مذهبه، بل عن الإمام أبي حنيفة نفسه رضي الله عنه.

قال: "إنّ شأنه تعالىٰ أعظـم مـن أن يُقسـم عليـه أو يسـأل بأحـدٍ مـن خَلْقـه، وقـد أنكـر أئمـة الإسـلام ذلـك؛ فقـال أبـو الحسـن القُـدوري في شـرح كتـاب «الكَرْخي»: قـال بِشـر بـن الوليـد: سـمعتُ أبـا يوسـف يقـول: قـال أبـو حنيفـة:

لا ينبغي لأحدٍ أنْ يدعوالله تعالىٰ إلا بـه. قـال: وأكـره أن يقـول: أسـألك بِمَعقـد العزّ مِن عَرشك. وأكره أن يقول: بحق فـلانٍ، وبِحـق أنبيائـك ورسـلك، وبحـقِّ البيت الحرام.

قال أبو الحسن: أما المسألة بغيـر الله فمُنْكـرةٌ في قـولهم؛ لأنـه لا حـق لغيـر الله عليه، وإنما الحق لله تعالىٰ علىٰ خَلْقه.

وقال ابن بلدجي في شرح «المختار»: ويكره أن يدعو الله تعالىٰ إلا به، فـلا يقـول: أسـألك بفـلانٍ أو بملائكتـك أو بأنبيائـك، أو نحـو ذلـك؛ لأنـه لا حـقّ للمخلوق علىٰ خالقه، أو يقول في دعائه: أسألك بِمَعْقدِ العزّ من عرشك. وعـن أبي يوسف جوازه؛ لِما رُوِي أنه عليه السلام دعا بذلك، ولأنّ معقد العـز مـن العـرش إنما يُراد به القدرة التي خلق الله بها العـرش مـع عظمتـه، فكأنـه سـأل بأوصـافه. وما قال فيه أبو حنيفة وأصـحابه: أَكْـره كـذا فهـو عنـد محمـدٍ حـرامٌ، وعنـد أبـي حنيفة وأبي يوسف هو إلىٰ الحرام أقرب، وجانب التحريم عليه أَغْلب[1]. اهـ.

سبحان الله! كم قال جامع «النفحة» وقعَّد وأرْغَىٰ وأزْبَد في مسـألة التوسـل بالنبي عليه الصلاة والسلام وغيره من الأنبياء الكرام! وكم شنَّع علىٰ المـانعين! وكـمْ طعـن في ديـنهم! فمـاذا عسـىٰ أن يقـول الآن، وقـد سـمع أن الإمـام الأعظـم أبـا حنيفـة النعمان رضي الله عنه يقول: لا ينبغي لأحدٍ أن يدعو الله تعالىٰ إلا به. ويقـول: وأكـره أن يقول: بحقّ أنبيائك ورسلك! ثم سمع القاعدة، وهي (ومـا قـال فيـه أبـو حنيفـة وأصحابه: أكْره كذا فهو عند محمد حرامٌ، وعنـد أبـي حنيفـة وأبـي يوسـف هـو إلىٰ الحرام أقرب، وجانب التحريم عليه أغلب) مـاذا عسـىٰ أن يقـول في الإمـام

(١) «زيارة القبور» (ص٣٢).

أبي حنيفة النعمان رضي الله عنه وهو الإمام القدوة بين الأنام، وقد سمع أن مِن مذهبه مَنْع التوسل بالأنبياء والرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام، وأنّ الدعاء به حرامٌ، أو أقرب إلىٰ الحرام؟!

ليت شعري، لو قَلَّده المتمذهبون بالمذهب الحنفي قاطبةً في هذا القول؛ فماذا يقول عن الإمام وعنهم يا ترىٰ؟! أيقول: إنهم هُمْ والإمام معهم وهابيون؟!

وقال الإمام أحمد بن تيمية في كتابه «قاعدةٌ جليلةٌ في التوسل والوسيلة» في بَحْث سؤال الله تعالىٰ بحرمة الأنبياء وَجاهِهم: "... فقد تبين أن قول القائل: أسألك بكذا نوعان؛ فإنّ الباء قد تكون للقسم، وقد تكون للسبب؛ فقد تكون قَسمًا به علىٰ الله، وقد تكون سؤالًا بسببه.

فأمّا الأول: فالقَسم بالمخلوقات لا يجوزُ علىٰ المخلوق، فكيف علىٰ الخالق؟!

وأما الثاني، وهوالسؤال المعظم؛ كالسؤال بحق الأنبياء: فهذا فيه نِزاعٌ، وقد تَقدم عن أبي حنيفة وأصحابه أنه لا يجوز ذلك.

قال: فنقول: قوْلُ السائل لله تعالىٰ: (أسألك بحق فلانٍ وفلانٍ من الملائكة والأنبياء والصالحين وغيرهم، أو بِجاهِ فلانٍ، أو بحرْمة فلانٍ) يقتضي أن هؤلاء لهم عند الله جاهٌ، وهذا صحيحٌ؛ فإن هؤلاء لهم عند الله منزلةٌ وجاهٌ وحُرمةٌ، يقتضي أن يرفع الله درجاتهم، ويُعظم أقدارَهم، ويقبل شفاعتهم إذا شفعوا، مع أنه سبحانه قال: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، ويقتضي أيضًا أنَّ من اتبعهم واقتدىٰ بهم فيما سنَّ الاقتداء بهم فيه كان سعيدًا،

ومن أطاع أمرهم الذي بلّغوه عن الله كان سعيدًا.

قال: ولكن ليس نفس مجرد قدرهم وجاههم ما يقتضي إجابة دعائه إذا سأل الله بهم حتىٰ يسأل الله بذلك، بل جاههم ينفعه إذا اتبعهم وأطاعهم فيما أمروا به عن الله، أو تأسَّىٰ بهم فيما سنُّوه للمؤمنين، وينفعه أيضًا إذا دعَوا له أو شفعوا فيه، فأما إذا لم يكن دعاء ولا شفاعة، ولا مِنه سبب يقتضي الإجابة، لم يكن متشفعًا بجاههم، ولم يكن سؤاله بجاههم نافعًا له عند الله، بل يكون قد سأل بأمرٍ أجنبيٍّ عنه ليس سببًا لنفعه.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ولو قال الرجل لِمُطاعٍ كبيرٍ: أسألك بطاعة فلانٍ لك، وبحبك له علىٰ طاعتك، وبجاهه عندك الذي أوجَبَتْهُ طاعَتُهُ لك قد سأله (لعل الأصل: لكان قد سأله) بأمرٍ أجنبيٍّ لا تعلُّق له به، فكذلك إحسان الله إلىٰ هؤلاء المقربين، ومحبَّته لهم وتعظيمه لأقدارهم، مع عبادتهم له وطاعتهم إياه، ليس في ذلك ما يُوجب إجابة دعاء من يسأل بهم، وإنما يُوجِب إجابة دعائه بسببٍ منه لطاعته لهم، أو سببٍ منهم لشفاعتهم له، فإذا انتفىٰ هذا وهذا فلا سبب.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: نعم، لو سأل الله بإيمانه بمحمدٍ ﷺ ومحبته له، وطاعته له، واتباعه له، لكان قد سأله بسببٍ عظيمٍ يقتضي إجابة الدعاء، بل هذا أعظم الأسباب والوسائل "[1] انتهىٰ.

**أقول**: تبين مما ذكره الإمام ابن تيمية والفاضل البركوي -***رحمهما الله تعالى***- أن المسألة فيها نزاعٌ، وأنه مَبْحوثٌ فيها في البلاد العراقية والشامية من قَبل أن تُذكر في البلاد النجدية بمئاتٍ من السنين، ولولا أن هذا المبحث وما قَبله من

(١) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (١/ ١٠٥ – ١٠٦).

المباحث التي نضجت واحترقت لَخُضنا غِماره، وناقشنا مؤلف الرسالة في كل مسألةٍ من مسائله وقضاياه، ولكنه يكون من قبيل المكرر المَمْلول.

غير أني أنصح له -إن كان طالبَ حقٍ، وأراد أن يدعو إلىٰ الله عن بصيرةٍ- أن يرجع إلىٰ كتاب «التوسل والوسيلة» لشيخ الإسلام ابن تيمية، ورسالة «زيارة القبور» للفاضل البركوي، و«الدر النضيد» للمحقق الشوكاني وغيرها، ومَن سَبَر تلك الرسائل عرف أن أدلة حضرة صاحب «النفحة» بعضها ليس له سندٌ ولا أصل، والبعض الآخر لا يدل علىٰ ما ذهب إليه. علىٰ أن الأستاذ الشيخ ناصر الدين[1] قد ناقش المؤلف في رسائله الثلاث، فوفَّىٰ الموضوع حقه، ولسنا في حاجةٍ إلىٰ الإعادة والتطويل.

**فإن قال**: إنَّ في هذه الرسائل التي أشرت إليها ما ينفر من قراءتها، وهو نسبة الكفر أو الشرك إلىٰ المسلمين.

**فالجواب**: أن ذلك لا يمنع طالب الحق من قراءتها، ما دام الاتفاق بين أهل العلم قائمًا علىٰ أن ما حذَّرت منه هذه الرسائل من البدع والمنكرات القبورية التي ذكرناها شيءٌ قد مُلئت منه كتب الفقه، وجاءت الأحاديث الصحيحة ناهيةً عنه، مُحذرةً من الوقوع فيه، مُتوعدةً عليه.

بقيت مسألة التوسل، وأمرها سهلٌ؛ إذ ليس الدعاء فيها إلا لله ﷻ، فمِن قائلٍ: اللهم إني أتوسل إليك بإيماني بنبيك محمد ﷺ وطاعتي له، وحبي إياه!

---

(١) يعني به العلامة عبدالقادر ابن بدران مؤلف «النفخة» والذي سمىٰ نفسه «ناصر الدين الحجازي».

ومن متوسلٍ بذاته الشريفة ﷺ وجاهه عند الله تعالىٰ[١].

(١) قال العلامة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: لا يجوز التوسل بذات النبي ﷺ ولا غيره من الأنبياء والصالحين، ولا يجوز أيضًا التوسل بجاهه ولا بغيره؛ لأن ذلك بدعة لم ينقل عنه ﷺ ولا عن أصحابه رضي الله عنهم. وقد قال عليه السلام: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**» متفق علىٰ صحته، وقال عليه السلام: «**من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد**» أخرجه مسلم في صحيحه.
وإنما المشروع للمسلمين التوسل بمحبته ﷺ والإيمان به، واتباع شريعته في حياته وبعد وفاته ﷺ لقول الله تعالىٰ: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ [آل عمران: ٣١] وقوله جل وعلا: ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ إلىٰ قوله سبحانه: ﴿ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ﴾ الآية [آل عمران: ١٩٠ - ١٩٣].
ولما ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ في قصة أصحاب الغار الثلاثة الذين توسل أحدهم إلىٰ الله ببر والديه، والثاني بالعفة عن الزنا بعد القدرة عليه، والثالث بأداء الأمانة، فأجاب الله دعاءهم وفرج كربتهم، وهكذا التوسل بدعائه ﷺ في حياته ويوم القيامة، وذلك بأن يطلب منه المسلم أن يدعو له، كما ثبت في الحديث الصحيح عن عمر رضي الله عنه أنه قال علىٰ المنبر يوم الاستسقاء: اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا، فيُسقَون. وهذا توسل من الصحابة بدعاء النبي لهم في حياته، فلما توفي عليه السلام تركوا ذلك لعلمهم بأنه لا يجوز، واستسقوا بدعاء العباس لأنه حي حاضر يدعو لهم ويؤمنون علىٰ دعائه.
وهكذا يوم القيامة يفزع المؤمنون إلىٰ آدم، ثم إلىٰ نوح، ثم إلىٰ إبراهيم، ثم إلىٰ موسىٰ، ثم إلىٰ عيسىٰ، فكلهم يعتذرون، فيقول لهم عيسىٰ عليه السلام: اذهبوا إلىٰ محمد، عبد قد غفر الله ما تقدم من ذنبه وما تأخر. فيأتونه عليه السلام فيسألونه أن يشفع لهم إلىٰ الله حتىٰ يريحهم من كرب الموقف، فيتقدم عليه السلام إلىٰ ربه ويسجد بين يديه، فيقول الله سبحانه له: ارفع رأسك، وقل يسمع لك، وسل تعط، واشفع تشفع، فيرفع رأسه ويشفع عليه السلام. والأحاديث في هذا المعنىٰ ثابتة ومتواترة، وهكذا يشرع التوسل بأسماء الله تعالىٰ وصفاته لقول الله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾ [الأعراف: ١٨٠] والله ولي التوفيق. انظر: «مجموع فتاوىٰ ومقالات الشيخ ابن باز» (٩/ ٣٣١).

## مجموعة الرسائل(١)

أنا لا أحب أن أكون رجل عصبيةٍ وحَميَّة جاهليةٍ، ولا موقظ فتنةٍ ولا مثير خصامٍ بين بني الإسلام، بل أرجو أن أكون حكمًا مُنصفًا، وداعيًا إلىٰ التآلف مُخلصًا، والتآلف لا يتم إلا إذا اتفقت كلمة العلماء؛ فباتفاقهم تَصلح أحوال العامة، وكلمة العلماء لا تتفق إلا إذا عملوا بهذه القاعدة: وهي أن ينكروا ما اتفقوا علىٰ أنه مُنكرٌ، ويعذر بعضهم بعضًا فيما اختلفوا فيه(٢).

وما أثرناه من البدع والمنكرات عن الإمام البركوي متفقٌ علىٰ أنه منكَرٌ -فيما أحسب- لورود الأحاديث الشديدة فيه، فيجب أن ينكر علىٰ فاعله كسائر

---

(١) هي مجموع رسائل اشتمل علىٰ سبع عشرة رسالة لشيخ الإسلام ابن تيمية وبعض أئمة الدعوة السلفية، وغيرهم، طُبع في مجلد واحد باسم «مجموعة ابن رميح».

(٢) قال العلامة الشيخ محمد بن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ عند تفسيره لقوله تعالىٰ: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤]: أما ما ينتشر عند بعض الناس من قولهم: يعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه، ويعين بعضنا بعضا فيما اتفقنا فيه، فهل لهذه الكلمة أصل في الشرع؟ هذا غلط في الجملتين جميعًا.

**فالجملة الأولىٰ**: (يعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه) هي كقول بعض الفقهاء: لا إنكار في مسائل الاجتهاد. لأن هذه العبارة معروفة عند الفقهاء، وهذا علىٰ إطلاقه ليس بصحيح، فما اختلفنا فيه إن كان الحق لم يتبين فيه تبينا لا يعذر فيه المخالف، فهنا نعم نعذره؛ لأن له رأي ولنا رأي، أما إذا كان الحق واضحًا، فإن من خالفنا لا نعذره في ذلك، فهي علىٰ إطلاقها غير صحيحة.

**وأما الثانية** وهي قول: ( يعين بعضنا بعضا فيما اتفقنا فيه) فهذا غير صحيح أيضًا؛ لأننا لو اتفقنا علىٰ باطل لم يحل أن يعين بعضنا بعضا، بل وجب أن ينهىٰ بعضنا بعضا عن هذا الباطل، فهو أيضًا علىٰ إطلاقه لا يصح.

ولعل الذي قاله يقصد ما ليس بباطل ولا يخالف الشريعة، لكن الجملة الأولىٰ دخل فيها أناس عندهم انحراف في العقيدة وفي المنهج، والإسلام يسعهم، قالوا: نحن يجب أن نستظل بظل الإسلام وإن اختلفنا؛ ولذلك تجدهم يدخلون في حزبهم الفاسق: حالق اللحية، شارب الدخان، المتهاون بالصلاة، وما أشبه ذلك، وهذا خطأ، وفي المقابل الذييريد من الناس أن يكونوا صلاحًا في كل دقيق وجليل وإلا فليسوا إخوانًا لنا، فهذا خطأ أيضًا. انتهىٰ من تفسير سورة آل عمران (٢/ ١٤-١٥).

المحظـورات، ومـا اختلفـوا إلا في مسـألة التوسـل، كـلٌّ بمـا يعـرف، ولْيَعـذر بعضهم بعضًا في ذلك كما قدمنا.

إذا عرفتَ ذلك عرفتَ أن ما في المجموعة التي طبعها التاجر عيسىٰ بن رميح هو عيْنُ ما في الكتب، ليس في ذلك شيءٌ جديدٌ، وأما لفظ الشرك أو الكفر فالمقصود منه الزجر عن البدع والمحرمات. علىٰ أن هذه الرسائل تصرِّح أنه يجب علىٰ المؤمن أن يتوب إلىٰ الله تعالىٰ من البدع المكفرات، ويرجع عنها بعد بيان الحق له، فإن أصرَّ وعاند مِن بَعد ما تبين له الحق فهنالك يكون له حكم المرتد، والعياذ بالله تعالىٰ.

أما السعي في مُصادرتها من أيدي الناس وإحراقها، فلا أرىٰ له وجهًا وَجيهًا، بل إنه يُعد جنايةً كبيرةً علىٰ العلم وأهله؛ لما فيها من الأدلة الجليلة، والبراهين القطْعية، ولمَ لَمْ يُسعَ في مُصادرة غيرها من الكتب التي تُصادم نصوص الدين وتُناقضها؟!

وتُعجبني المحاورة التي دارت بين عالمٍ سلفيٍّ من أنصار شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ وآخر صوفي من أنصار الشيخ الأكبر -قدس سره-[1]:

قال العالم السلفي: إني تكلمت يومًا مع بعض الغلاة فيما قاله صاحب «الفصوص» و«الفتوحات» من الكلمات المصرِّحة بالحلول والاتحاد، وذكرت له ما قاله فيها العلامة السعد التفتازاني، والشيخ علي القاري، والشيخ محمد البخاري، وغيرهم.

فقال -أي الصوفي-: إن هؤلاء لمْ ينصفوا؛ فإن صاحب «الفصوص» قد صرَّح بعقيدة الإسلام في كثيرٍ من كتبه، فمن الواجب أن نصرف ما نسمع من

(١) مر معنا عدم جواز هذه الألفاظ لأمثال ابن عربي المتهم بالزندقة!

كلامه المخالف للحق إلىٰ ما يوافقه، ونَحمله علىٰ محملٍ حَسنٍ، كما أَوَّلوا قوله: «سبحان من أظهر الأشياء وهو عينها» أي: عين وجودها الماسك لها، ونحو ذلك؛ صيانةً لهؤلاء الكُمَّل من الوقيعة فيهم.

فقلت: فما قولك في مسلمٍ يصلي ويصوم ويزكي ويحج البيت، وقد تكلم بالكفر؛ هل تُؤول كلامه وتصرف عنه مُوجِب الكفر، أو تقول بما قاله الفقهاء في كتاب الردة؟!

ثم إنكم لم تذبُّوا عن ابن تيمية وتعتذروا عنه بمثل ما اعتذرتم عن شيخكم، وقد ملأ الكتب من الإيمان بالله ورسوله ﷺ، فكان من الواجب عليكم أنه إذا ثَبت عنه شيءٌ مذكورٌ في كتبه أن تجتهدوا في حمْله علىٰ محملٍ حسنٍ. اهـ باختصارٍ قليلٍ[1].

**أقول**: لَعَمري إن الحق في جانب هذا الفاضل؛ فإن «الفتوحات المكية» و«الفصوص» فيهما كثيرٌ من المسائل مما ظاهره يُصادم نصوص الكتاب والسنة، الأمر الذي اضطر أخلص أنصار الشيخ الأكبر أن يقولوا: إن ظاهرها غير مرادٍ، وإنها إما أن تُؤوّل بما يوافق النصوص، أو يُفوّض فَهْم معناها والمراد منها إلىٰ الله تعالىٰ.

وقد وقعت كتب الشيخ ابن عربي في أيدي العوام والجُهّال مِمّن ليسوا أهلًا لمطالعتها وفهمها، فَهُم يفسرونها علىٰ حسب أهوائهم وجهلهم وأغراضهم، ومنهم مَن اعتقد الحلول والاتحاد، واستباح حِمىٰ الأعراض، وصارت له عباراتٌ تقشعر منها الأبدان، وكلما كانت إلىٰ الكفر أقرب وعن

(١) هنا النقل بتمامه من كتاب «غاية الأماني في الرد علىٰ النبهاني» لمحمود شكري الألوسي (١/ ٤٩٥).

الشرع أبعد يُسميها فتوحًا، ولم نر أحدًا سعىٰ بمصادرة هذه الكتب من أيدي العوام غَيرةً علىٰ الدين، ثم علىٰ الشيخ الأكبر الذي ألّفها للخَواص، والذي شهد له وأثنىٰ عليه باجتهاده في طاعة ربه والتزام أحكامه أصدقاؤه وأعداؤه.

وشيخ الإسلام ابن تيمية الذي وقف بكُتُبه عند حدود الشرع أعظم وقوفٍ، وتمسّك بالظاهر المتبادر منها أشدّ التمسك، ولم يفارق ما تدل عليه النصوص قيد شبرٍ ولا قُلامَة ظُفْرٍ، يُفكر بعض أهل العلم بمصادرة المجموعة التي طُبعت حديثًا منها ومنع الناس من قراءتها! فوَا أسفاه! أين الإنصاف؟!

**فإن قال قائلٌ**: في رسالة «كشف الشبهات» لابن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ رميٌ بالشرك أو الكفر.

**فالجواب**: أن ذلك عينه مذكورٌ في كثيرٍ من الكتب الحدِيثيَّة وفي كُتب الفقهاء، والمقصود منه الزجر عن البدع التي اتفقنا علىٰ أنها بدع، والتغليظ والتشديد علىٰ مرتكبيها ليرجعوا عنها، وإنما يكفر الجاحد المعاند الذي يعرض عن الحق مِن بعد ما تبين له أنه حقٌّ، كما تقدم، وكما لا يسعنا تكفير المسلم المخطئ في شيءٍ لم يظهر له أو لم يبلغه، فكذا لا يجوز السكوت عن نصحه وإرشاده، ودعوته بالحكمة والموعظة الحسنة.

وكنتُ كتبْتُ مقالًا في هذا الموضوع - موضوع بيان الحق ودعوة الناس إليه برفقٍ ولينٍ -، وتعرّضت فيه للمجموعة الجليلة التي طبعها ابن رميح، ونُشر في جريدة «ألف با» الغراء (عدد ٥٥٢) تحت عنوان: «الإنصاف يزيل الخلاف» بتوقيع «أبي اليسار»، وكان له وقْعٌ حسنٌ في نفوس أهل الصدق والإنصاف والإخلاص من الناس، فيحسن بنا إيراده هنا، وإليك هو:

## الإنصـاف يزيل الخــلاف

كَثُـر الجـدال، واشـتد الخصـام بـين النـاس؛ خاصّـتهم وعـامتهم، في أمـر رسائل بعض الأجلاء الأعلام التي طبعها التاجر ابن رميح علىٰ نفقته، ووزعها علىٰ المسلمين في عامة الأقطار، وجعلها وقفًا يبتغي به وجه الله ورضاه؛ فَمِن مُغالٍ مُتطرفٍ يَمنع النـاس من قراءتها، ويُشير عليهم بإحراقها، ويخوض في عِرض أهلها، ويُوسِعهم سبًّا وشتمًا، ومِن مُلحٍّ عليهم بتفهُّمها والاستنارة بنور أدلتها التي تكشف ظلمات الشبه والشكوك، وتمزق حجب البدع والأوهام، وتُنقِّي العقائد من كل شائبةٍ، ومَن نظر في حال أنصار الرسائل وخصومهم نظرًا مجردًا عن الهوىٰ، يرىٰ عند غلاة الفريقين تحاملًا ظاهرًا أو تعصبًا ذميمًا.

**فَمِن تعصُّب غلاة الفريق الأول**: أنهم ينسبون الشرك والكفر إلىٰ من يدعو غير الله، أو يحلف بغيره، ويحملون عمل ذلك العامي البسيط علىٰ العداء والعناد، وإنْ أخطأ باللفظ دون الاعتقاد، مع أن الفرق بين هؤلاء العامة المساكين وبين المشركين الذين كانوا في عهد التنزيل مثل الصبح ظاهرٌ.

فأهل الجاهلية كانوا يُسمون كتاب رب العالمين إفكًا وأساطير الأولين، وقالوا عن النبي الكريم: شاعرٌ، ومسحورٌ، ومعلّمٌ مجنونٌ، وقالوا كما حكىٰ القرآن الكريم عنهم: ﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ [فصلت: ٢٦]، وهؤلاء المسلمون يقولون: القرآن كلام الله، وهو وحيٌ معجِزٌ. أولئك كانوا يقابلون المعجزة والبرهان بالسيف والسنان، وهؤلاء يقابلون ذلك بالإيمان والإذعان. إصرار أولئك علىٰ الباطل كان ناشئًا عن عنادهم، وقساوة قلوبهم، وغِلَظ أكبادهم، وهؤلاء إذا رأوا الحق اتبعوه، وإذا رأوا الباطل اجتنبوه، فإذا ذكّرتهم تذكروا ورجعوا إلىٰ الحق وشكروا، فكيف يُقال: إنهم كفروا أو صاروا مشركين؟! فيا لله للعجب! هل الجمع بين الفريقين -ولا جامع بينهم-

إلا جمعٌ بين الإيمان والكفر، والهدىٰ والضلال؟! وهل هو إلا جهلٌ أو خطأ ظاهر لا يُصرُّ عليه إلا كل مكابرٍ؟!

**تعصب الفريق الثاني**: أما غلاة الفريق الثاني فهم أيضًا جهالٌ بحال الفريق الأول؛ فمنهم من يقول: إنهم ينكرون الأنبياء والأولياء. وسمع من بعض العامة لفظ أخشن وأشدُّ تشويهًا، وهو أن الوهابيين (فرمسون) ومعناه في لغة العامة أنهم طبيعيون؛ أي: لا يدينون بدين! وقال: هو أسهل علينا من لفظ (وهابي) الذي لا نحفظه. ويظنون أن جميع النجديين -خواصهم وعوامهم- يُكفِّرون عامة المسلمين! والحق أن هذا افتراءٌ عليهم، يعلم ذلك من راجع كتبهم[1]. وأما التكفير فهو من بعض غُلاتهم وجُهالهم، ويقابِل ذلك ما نسمعه من بعض رِعاعنا وشذاذنا عنهم، وهل يؤخذ الكل بِجَريرة البعض؟!

علىٰ أن هذه المسائل - وهي دعاء غير الله، والحلف به، والنذر باسمه أيًّا كان - أمورٌ كلها محظورةٌ شرعًا، ونحن متفقون معهم علىٰ إنكارها، ولكن بعض مُدرِّسِينا يتحامون ذكرها في الدروس خِيفةً مِن أنْ يَرميَهم أحدٌ بِمِثل ما يرمون به خصومهم، وإنك لتجدهم يدافعون عن عادات الناس وبِدَعهم، ويُقرُّونهم عليها، ويؤولون كل قبيحٍ منها، مع علمهم بما وَردَ من شديد النهي عنها، حتىٰ كأن الدين ما عليه عامة الناس، لا ما في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، والله شهيد علىٰ ما يعملون.

(١) انظر الرد علىٰ جميع شبهات خصوم الدعوة السلفية بخصوص هذه المسألة في كتاب «دعاوىٰ المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب» للدكتور: عبدالعزيز بن محمد العبداللطيف (ص ١٦٢ وما بعدها) ط: طيبة ١٤٠٩ هـ.

## تشخيص الداء وطـريق علاجـه

لا يخفىٰ أن جمْع كلمة الأمة من أهم المهمات، كما أن بيان الحق والدعوة إليه من أوْجب الواجبات، ولكن القول اللين أوقع في النفوس وأشد جذبًا وتأثيرًا، ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، ولا يخفىٰ أن الانتقاد علىٰ العوائد ثقيلٌ مرٌّ كالانتقاد علىٰ العقائد، لا سيما إذا تمكّنت من النفوس وطال عليها الزمن. وقد وصف الإمام الشوكاني الشهير في رسالته «الدر النضيد» هذه البلوىٰ العامة وصفًا بالغًا، وإليك كلمة وجيزة مما قاله:

«واعلم أنَّ ما حررناه وقررناه (أي: في شأن هذه البدع القبورية) قد يخفىٰ علىٰ كثيرٍ من أهل العلم، وذلك لا لكونه خفيًّا في نفسه، بل لإطْباق الجمهور علىٰ هذا الأمر (أي: أمر الطلب والدعاء، والذبائح والنذور لأهل القبور) وكونه قد شابَ عليه الكبير وشبَّ عليه الصغير، وهو يرىٰ ذلك ويسمعه، ولا يرىٰ ولا يسمع مَن يُنكره، بل ربما يسمع من يُرغِّب فيه، ويندب الناس إليه».

إلىٰ أن قال: «ويُوقدون في المشهد الشموع، ويوقدون فيه الأطياب، ويجعلون لزيارته مواسم مخصوصة يتجمّع فيها الجمْع الجمُّ، فيُبهر الزائر، ويرىٰ ما يملأ عينه وسمعه من ضجيجِ الخلْق وازدحامهم، وتكالُبِهم علىٰ القرب من الميت، والتمسح بأحجار قبره وأعواده، والاستغاثة به والالتجاء إليه، وسؤاله قضاء الحاجات ونَجاح الطلبات، مع خضوعهم واستكانتهم، وتقريبهم إليه نفائس الأموال، ونحْرهم أصناف النَحائر، فبمجموع هذه الأمور، مع تطاول الأزمنة وانقراض القرن بعد القرن، يظن الإنسان في مبادئ عمره وأوائل أيامه أن ذلك من أعظم القربات وأفضل الطاعات، ثم لا ينفعه ما تعلّمه من العلم بعد ذلك، بل يَذْهَل عن كل حُجَّةٍ شرعيةٍ».

إلىٰ أن قال: «لأنه يبعد كل البعد أن ينقل ذهنَه دفعةً واحدةً عن شيءٍ يعتقده من أعظم الطاعات، إلىٰ كونه من أقبح القبحات وأكبر المحرمات»[1] اهـ.

**وأقول**: لو أن الوعاظ والخطباء والمدرسين قد دعَوا إلىٰ سبيل ربهم بالحكمة والموعظة الحسنة، وأصلحوا أحوال العامة وألفاظهم بدلًا من التأويل، لزال الخلاف وحصل السلام بين بني الإسلام!

اللهم أرنا الحق حقًّا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابه، يا أرحم الراحمين.

## نصيحة إلى الواعظين

نختم هذه الرسالة بنصيحةٍ نسوقها إلىٰ الواعظين، عسىٰ أن يكون فيها عبرة وذكرىٰ لمن ألقىٰ السمع وهو شهيدٌ:

معلومٌ أن المقصود من الدروس العمومية تذكير الناس وإرشادهم، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، ودعوتهم إلىٰ ما فيه سعادتهم في الدنيا والآخرة. وللمُذَكِّر أو الواعظ شروطٌ وأوصافٌ، إذا توفرت فيه جرىٰ علىٰ يديه خيرٌ عظيمٌ ونفْعٌ عَميمٌ، وإذا لم يكن كذلك ذهب الوقت سُدًىٰ وكان عمله عديم الجدوىٰ. وإليك ما قاله بعض العلماء الأجلاء في موضوع تذكير العامة وأوصاف المُذكِّر:

---

(١) الدر النضيد (٩٣ – ٩٤).

موضوع ذِكْرىٰ العامّة موضوعٌ جليلٌ، لا يصلح له إلا كل حكيم نبيل، أتدري من المذكِّر أو الواعظ أو المرشد؟ هو إنسانٌ حافظٌ لحدود الله، قائمٌ علىٰ إرشاد العقول، وتهذيب النفوس، وتثقيف الأذهان، وتنوير المدارك، وتصحيح المعتقدات، وإبانة سر العبادات، وإماطة ما غشي الأفهام القاصرة من غَياهِب الجهالة وتراث الضلالة.

المذكِّر وارثٌ محمديٌّ، واقفٌ علىٰ مقاصد التشريع وحكمته، عالمٌ مواضعَ الخلاف والوفاق، سائسٌ لسامعيه بما يلائمهم من الأحكام، لا يصعد بهم قِمم الشدة والتعسير، ولا يهبط بهم إلىٰ حضيض الجهل غلوًّا في التيسير، بل يسير بهم علىٰ جادَّة الحق وسواء الطريق.

المذكِّر ينشر العلم النافع بين الناس، ويحثهم علىٰ العمل به، ويخاطبهم علىٰ قدر عقولهم، ويتنزّل لإرشادهم إلىٰ لغتهم، يُعاشرهم بالنصح، ويخالطهم لتأليف قلوبهم.

المذكِّر هو العامل الأكبر في إخراج الناس من ظلمات الجهالة إلىٰ نور العلم، وتحريرهم من رقّ الخرافات والوهم، وهو كالسراج؛ فإذا لم يُنتفع بضوئه فلا فائدة في وجوده.

وحقٌّ ما قيل: «لا يكون العالم عالمًا حتىٰ يظهر أثر علمه في قومه»؛ إذ ليس مسئولًا عن نفسه وحدها، بل عنها وعن عشيرته وأمته، فمن الواجب عليه أن يُعلِّم ويَعظ ويُبلِّغ كما فعل رسول الله ﷺ.

وعلىٰ الجملة: فالمذكِّر لا بد أن يكون كاملًا في علمه، كاملًا في تعليمه، كاملًا في إرشاده، كاملًا في أخلاقه[1]. اهـ.

---

(١) انظر كتاب «موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين» لعلامة الشام جمال الدين القاسمي (ص ١٠).

**أقول**: إذا لاحظ الإنسان هذه الأوصاف المذكورة، وألقىٰ نظرةً عامةً علىٰ الدروس العمومية في أكبر مسجدٍ دمشقيٍّ - المسجد الأموي - رأىٰ أنها لم تتوفر كلها في درسٍ واحدٍ، وعرف أن بعض مدرِّسيه لا يُغني عن البعض الآخر، وأدرك أن الإرشاد الكامل والنصح الشامل لا يتم إلا بهم جميعًا؛ ذلك بأنَّ بعضهم قد أَلِفَ النهي عن بعض المنكرات والسكوت عن البعض الآخر لسببٍ ما، والأسباب متنوعةٌ، والبعض الآخر قد تكفَّل ببيان تلك المنكرات والنهي عنها، فهُمْ كَزهرات متفرقةٍ، تُعطي الواحدة منها منظرًا خاصًّا ورائحةً شذِيَّةً، ولكنها إذا جُمعت جميعًا وصارت باقةَ زهرٍ -كما يقولون- ألَّفت منظرًا أجمل، ورائحةً أشهىٰ وأقوىٰ.

ليس عجبي من سكوت الساكت عن بعض المنكرات بأشد من عجبي من اعتراضه علىٰ من ينكرها، ومقاومته له وإنكاره عليه، مع الطعن في دينه أحيانًا في الدّرس العام، وربما قابل الآخر الطعن بمثله والإنكار بأشدّ منه، حتىٰ صارت تلك الدروس مثار خلافٍ ومُعتركَ خصامٍ، وحتىٰ تنبَّه بعض العامة لذلك وقال: إن المدرسين قد خرجوا عن الموضوع، وشُغلوا عن الإرشاد بالانتقاد، فنحن لا نستفيد من دروسٍ شأنها ما ذكر شيئًا، ومتىٰ زال الخلاف وعادت الألفة بين العلماء عُدْنا؛ فَسَمِعْنا واستفدنا.

ولا يخفىٰ أن الدعوة إلىٰ الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرضٌ كفائيٌّ علىٰ قولٍ، وفرضٌ عينيٌّ علىٰ قولٍ آخر؛ فإذا كان بعض ما قدمناه مُنكَرًا باتفاقٍ مثلًا، وأنكره البعض، ألاَ يسقط الإثم عن الباقين علىٰ القول الأول؟! وإذا لم ينكره أحدٌ منهم، ألا يكونون كلهم آثمين؟!

بلىٰ؛ إذًا فَلِماذا يعترض بعض المدرسين علىٰ بعض ويطعنون في دينهم، بدلًا من أن يشكروا لهم القيام بواجبٍ كان ينبغي لهم أن يشاطروهم فيه؟! أليس من علامات الإيمان وآيات الإخلاص أن يبتهجوا بإنكار هذه المنكرات؟!

**قال قائلٌ**: إنَّ بعض الواعظين في الجامع قد تكلم بكلامٍ هو المنكر لا ما أنكره.

**فالجواب**: إن ذلك يحتمل أن يكون غير صحيحٍ؛ إما من كذب الناقل، أو جهله، أو تحريفه، كما اتفق ذلك مرارًا. وعلىٰ فرض أن المدرس قد أخطأ في مسألةٍ ما، فليس هو معصومًا ولا غيره، وقد قال الإمام مالك بن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَا مِنَّا إلا من رَدَّ ورُدَّ عليه، إلا صاحب هذا القبر[1]. يعني النبي ﷺ.

وعلىٰ كلٍّ، فليس الدرس العام محلًّا لانتقاد المخطئ وجوابه؛ لأن ذلك يحمله علىٰ أن يقرأ درسًا في الرد علىٰ من انتقده - كما هو واقعٌ - فيزيد الإشكال، بدلًا من أن يزول، ويتسع الخرق علىٰ الرَّاقِع، والله عز شأنه يقول: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩]، فما علىٰ من ينتقد الآخر بشيءٍ إلا أن يجتمع به

---

(١) المشهور أن قائلها الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ، ولكنها جاءت عن غيره من أهل العلم، كالبخاري ومجاهد والشعبي، وقد أخرج الطبراني في «المعجم الكبير» (١١/ ٣٣٩) قال: حدثنا أحمد بن عمرو البزار، ثنا زياد بن أيوب، ثنا أبوعبيدة الحداد، عن مالك بن دينار، عن عكرمة، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا رفعه، قال: «ليس أحد إلا يؤخذ من قوله ويدع، غير النبي ﷺ».

وينقل له عبارته، يبين له خطأه بالدليل ويذكر له الصواب بالدليل، وإذا وُجد بينهما حَكَمٌ أو أكثر من ذوي العلم والإنصاف حلَّ الوفاق محلّ الخلاف. والله يهدي من يشاء إلىٰ صراط مستقيم.

تمت هذه «النظرة» علىٰ يد مؤلفها أبي اليسار الدمشقي الميداني، خامس عشر ذي القعدة الحرام، سنة ألف وثلاثمائة وأربعين. والحمد لله رب العالمين.

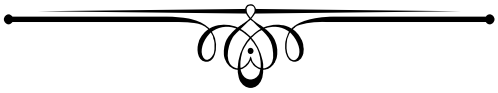

# فهرس الموضوعات

**الموضوعات** **الصفحة**


مُقَدِّمَة ..... ٥
**طبعات الرسالة** ..... ٧
**مَن مؤلِّفا** «النفخة على النفحة والمنحة» و«نظرة في النفحة الزكية في الرد على الوهابية»؟ ..... ٨
فائدة ..... ٩
أثر الدعوة السلفية عمومًا، ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب خصوصًا في الشام ..... ١١
**رسالة الإمام** الملك عبد العزيز بن عبدالرحمن الفيصل رَحِمَهُ اللَّهُ لهما ..... ٢٣
**ترجمة المؤلِّفيْن *رحمهما الله تعالى*** ..... ٢٧
(١) علامة الشّام عبد القادر بن بدران ..... ٢٧
۞ طلبه للعلم ومشايخه ..... ٢٧
۞ صفاته وثناء العلماء عليه ..... ٣٠
۞ عقيدته ..... ٣٠
۞ مؤلفاته ..... ٣١
۞ مرضه ووفاته ..... ٣٣
(٢) محمد بهجة البيطار ..... ٣٤
۞ مؤلفاته ..... ٣٩
۞ وفاته ..... ٤٠

صورة العنوان من الطبعة الأولىٰ للكتاب ..... ٤١
صورة العنوان من الطبعة الأولىٰ للكتاب ..... ٤٢
**النفخـة علىٰ النفحــة والـمنحــة** وتليها نظــرة في النفحة الزكية في الـرد علىٰ الوهابية ..... ٤٣
**النفخـة الثانيـة** ..... ٩٣
**خاتـمة** ..... ١٠٣
**خاتمة** ..... ١٠٥
**نظـرة في رسالــة**: «النفحة الزكية في الرد علىٰ شُبه الفرقة الوهابية» ..... ١٠٧
نبذة من كلام مؤلف الرسالة ..... ١١١
حالنا وحال النجديين ..... ١١٥
عَوْد علىٰ موضوع الرسالة ..... ١١٦
بحث الوسيلة والتوسل ..... ١٢٣
مجموعة الرسائل ..... ١٢٩
الإنصاف يزيل الخلاف ..... ١٣٣
تشخيص الداء وطريق علاجه ..... ١٣٥
نصيحة إلىٰ الواعظين ..... ١٣٦
***فهرس الموضوعات*** ..... ١٤١